تاريخ المصحف الشريف

الكتابة العربية وقت الإسلام وبعده

بُعِثَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى أُمَّةٍ أُمِّيَّةٍ لَا تَكْتُبُ وَلَا تَحْسُبُ وَلَا تَعْرِفُ عَنِ الْخَطِّ وَالْكِتَابَةِ شَيْئًا إِلَّا النَّذْرَ الْيَسِيرَ فِي جَزِيرَةِ الْعَــرَبِ كُلِّهَا، وَبِضْع عَشَــرَةَ رَجُلاً مِنْ قُرَيْشٍ خَاصَّــةً، وَنَفَرًا قَلِيلاً مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمُجَاوِرِيهِمْ مِنَ الْيَهُودِ عَرَفُوا الْخَطَّ وَالْكِتَابَةَ قَبْلَ مَبْعَثِ النَّبِيِّ ﷺ بِقَلِيلٍ، فَمِنْ هَؤُلَاءِ: أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَعُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ، وَطَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ، وَأَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ، وَابْنُهُ مُعَاوِيَةُ، وَأَبَانُ بْنُ سَعِيدٍ، وَالْعَلَاءُ بْنُ الْحَضْرَمِيِّ، وَهَؤُلَاءِ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ.

وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ: عَمْرُو بْنُ سَعِيدٍ، وَأُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ، وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، وَالْمُنْذِرُ بْنُ عَمْرٍو، وَكَانَ بِهَا يَهُودِيٌّ يُعَلِّمُ الصِّبْيَانَ الْكِتَابَةَ.

لِمَاذَا صَحَّ التَّعْبِيرُ عَنِ الأُمَّةِ الْعَرَبِيَّةِ بِأَنَّهَا: أُمَّةٌ أُمِّيَّةٌ لَا تَقْرَأُ وَلَا تَكْتُبُ؟

لِقِلَّةِ انْتِشَارِ الْكِتَابَةِ فِي رُبُوعِ الْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ، وَانْحِصَارِهَا فِي أَفْرَادٍ قَلَائِلَ مِنْ أَهْلِهَا صَحَّ ذَلِكَ التَّعْبِيرُ.

وَقَدْ جَاءَ الإِسْلَامُ وَسَجَّلَ عَلَيْهَا الأُمِّيَّةَ بِقَوْلِهِ: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (الجمعة: ٢).

وَالْمَشْهُورُ عِنْدَ عُلَمَاءِ التَّارِيخِ أَنَّ أُسْتَاذَ الْقُرَشِيِّينَ فِي الْكِتَابَةِ وَالْخَطِّ: (حَرْبُ بْنُ أُمَيَّةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ)، وَالِدُ أَبِي سُفْيَانَ الصَّحَابِيُّ الْجَلِيلُ، لِأَنَّهُ كَانَ رَجُلاً كَثِيرَ الأَسْفَارِ إِلَى الْبِلَادِ بِالتِّجَارَةِ فَتَعَلَّمَ الْكِتَابَةَ وَالْخَطَّ عَلَى يَدِ أَهْلِ هَذِهِ الْبِلَادِ وَعَلَّمَهَا الْقُرَشِيِّينَ، فَبَدْءُ الْخَطِّ بِمَكَّةَ كَانَ عَلَى يَدِهِ.

وَاخْتَلَفَ الْمُؤَرِّخُونَ فِي تَعْيِينِ مَنْ عَلَّمَ (حَرْبَ بْنَ أُمَيَّةَ)؟!

فَقِيلَ هُوَ: (عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جُدْعَانَ)، وَقِيلَ: (بِشْرُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ) وَإِلَيْكَ مَا وَرَدَ فِي ذَلِكَ:

ذَكَرَ أَبُو عَمْرٍو الدَّانِي بِسَنَدِهِ فِي كِتَابِ الْمُحْكَمِ فِي نَقْطِ الْمَصَاحِفِ:

عَنْ زِيَادِ بْنِ أَنْعَمَ الْمَعَافِرِيِّ قَالَ: قُلْتُ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ: مَعَاشِرَ قُرَيْشٍ؛ هَلْ كُنْتُمْ تَكْتُبُونَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ بِهَذَا الْكِتَابِ الْعَرَبِيِّ، تَجْمَعُونَ فِيهِ مَا اجْتَمَعَ، وَتُفَرِّقُونَ فِيهِ مَا افْتَرَقَ، هِجَاءً بِالأَلِفِ وَاللَّامِ وَالْمِيمِ، وَالشَّكْلِ وَالْقَطْعِ، وَمَا يُكْتَبُ بِهِ الْيَوْمَ قَبْلَ أَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ تَعَالَى النَّبِيَّ ﷺ؟ قَالَ: نَعَمْ.

قُلْتُ: فَمَنْ عَلَّمَكُمُ الْكِتَابَ. قَالَ: حَرْبُ بْنُ أُمَيَّةَ.

قُلْتُ: فَمَنْ عَلَّمَ حَرْبَ بْنَ أُمَيَّةَ؟. قَالَ: عبدُ اللَّهِ بنُ جُدْعَانَ.

قُلْتُ: فَمَنْ عَلَّمَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جُدْعَانَ؟ قَالَ: أَهْلُ الأَنْبَارِ.

قُلْتُ: فَمَنْ عَلَّمَ أَهْلَ الأَنْبَارِ؟ قَالَ: طَارِئٌ طَرَأَ عَلَيْهِمْ مِنْ أَرْضِ الْيَمَنِ مِنْ كِنْدَةَ.

قُلْتُ: فَمَنْ عَلَّمَ الطَّارِئَ؟ قَالَ: الْخُلْجَانُ بْنُ الْمُوهِمِ، كَانَ كَاتِبَ هُودٍ نَبِيِّ اللَّهِ عليه السلام بِالْوَحْيِ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى.

وروى الكلبي عن عوانة:

أولُ من كتب بخطنا هذا - وهو الْجزم -: مرامر بن مرة، وأسلم بن سدرة، وكذا عامر بن جدرة، وهم من عرب طَيِّءٍ، تعلموه من كاتب الوحي لسيدنا هود عليه السلام، ثُمَّ عَلَّمُوهُ أَهْلَ الأَنْبَارِ، وَمِنْهُمُ انْتَشَرَتِ الْكِتَابَةُ فِي الْعِرَاقِ وَالْحِيرَةِ وَغَيْرِهِمَا، فتعلمها بشر بن عبد الْمَلِكِ أخو أكيدر بن عبد الملك صاحب دومة الجندل وكان له صحبة بِحَرْبِ بن أمية لتجارته عندهم فِي بلاد العراق فتعلم (حَرْبٌ) منه الكتابة وعلمها القرشيين، ثم سافر معه بشر إلى مكة فتزوج الصهباء بنت حرب أخت أبي سفيان فتعلم منه الكتابة جماعة من أهل مكة، فكثر سواد الكاتبين من قريش قبل الإسلام إِلَى حَدٍّ مَا.

- فَأَنْتَ تَرَى أَنَّ الرِّوَايَةَ الأُولَى تَدُلُّ عَلَى أَنَّ أُسْتَاذَ حَرْبِ بْنِ أُمَيَّةَ: عَبْدُ اللهِ بْنُ جَدْعَانَ.
- وَالرِّوَايَةَ الثَّانِيَةَ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ أُسْتَاذَهُ: بِشْرُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ.

مَتَى أَخَذَتِ الْكِتَابَةُ فِي الذُّيُوعِ وَالانْتِشَارِ فِي سَائِرِ الأَنْحَاءِ؟

بَقِيَتِ الْكِتَابَةُ مَحْصُورَةً فِي أَفْرَادٍ قَلَائِلَ فِي الْجزيرة إِلَى أَنْ هاجر النبي ﷺ إِلَى الْمَدينة فشجع الكتابة، وحث على تعليمها وتعلمها بجميع الوسائل، ومِمَّا يدل على ذلك أنه لَمَّا انتصر على قريش فِي بدرٍ وأسر منهم سبعين رجلاً من صناديد قريش وغيرهم جعل على كُلِّ واحدٍ منَ الأسرى لفكاكه منَ الأسرِ فداءً منَ الْمَال، وعلى كل من عجز عن الافتداء بالْمَال - إِنْ كَانَ ذَا دِرَايَةٍ بالكتابة - أن يعلمها عشرة من صبيان الْمَدِينَةِ فَلَا يُطْلِقُونَهُ إلا بَعْدَ تعليمهم، وبذلك رَاجَتْ سُوقُ الكِتَابَةِ بِالْمَدِينَةِ، وَأَخَذَتْ فِي الذُّيُوعِ وَالانْتِشَارِ فِي سَائِرِ الأَنْحَاءِ كلما اتسعت رقعة الإسلام وكثرت فتوحاته.

ولذلك لَم يتم القرآنُ نزولاً حتَّى كان للرسول ﷺ أكثر من أربعين كاتبا.

وكان أولو الأمر منَ الْمُسلمين يعملون جاهدين على إذاعتها فِي سائر الأقطار الإسلامية ليعلم الناس جَميعًا أَنَّ الإِسْلَامَ وَالْعِلْمَ قَرِينَانِ لا يَفْتَرِقَانِ، وأن الإسلام هو الدين الوحيد الذى يعمل على رفع مستوى الإنسانية إِلَى أَوْجِ الرقِيِّ والكمال.

قال العلماء: كان الخط الذى تعلمه حرب وعلمه القرشيين هو الخط الأنباري الحيري المسمى بعد انتقاله إلى الحجاز بالحجازى وكان هذا الخط هو المتداول على أيدى الكاتبين يكتبون به رسائلهم وأشعارهم وغيرها إلى أن جاء الإسلام فكتبوا به الوحى، ثم كتبوا به صحف أبي بكر التى جمع فيها القرآن ثم كتبوا به المصاحف العثمانية وغيرها واستمر تداوله بين الناس يكتبون به المصاحف وغيرها إلى أن فتح المسلمون الممالك، ومصروا الأمصار، ونزلت طائفة من الكتاب الكوفة، فعنيت بتجويد الخط العربي وتحسينه، حتى صار خط أهل الكوفة متميزا بشكله عن الخط الحجازى، فحينئذٍ سمى (الخط الكوفي) وبه كانت تكتب المصاحف وغيرها.

ثُمَّ أخذ الخط العربيُّ يسمو ويرتقي على يد هؤلاء الْمَهَرَة الذين كانَ لَهُمُ الْيَدُ الطولَى فِي تَجويده وتَحسينه وهم: (قطبة المحرر، والضحاك بن عجلان، وإسحاق بن حماد).

وقد استطاع (قطبة) أن يَخترع من الْخط الكوفِي والْحجازي خطًّا آخر هو مزيج من الْخطَّين السابقين ويعتبر هذا الخط أساس الخط الذي يكتب به الآن.

وفِي عهد الدولة العباسية بدأ الخط العربيُّ يساير سائر العلوم نُموا وتقدما فِي هذا العصر الذهبِي على يد الوزير العظيم (أبِي على مُحمد بن مقلة) الذى استطاع بعقليته الفذة ونبوغه النادر أن يتمم ما بدأ به (قطبة) مِنْ تَحْوِيلِ الْكِتَابَةِ الْعَرَبِيَّةِ مِنْ صُورَتِهَا الْكُوفِيَّةِ إِلَى الصُّورَةِ التي هِيَ عليها الآن، وَقَدِ اخْتَرَعَ أَشْكَالاً كَثِيرَةً لِلْخطِّ الْعَرَبِيِّ وَفُرُوعًا مُتَعَدِّدَةً وَصُورًا شَتَّى لَسْنَا بِصَدَدِ الْكَلامِ عَلَيْهَا.

ثُمَّ جَاءَ بعده (عَلِيُّ بن هلال البغدادى) الْمُكَنَّى بـ: (ابْنِ البواب) فاقتفى أثر (ابنَ مقلة) وأخذ طريقته فهذَّبهَا وَنَقَّحهَا وَأَكْمَلَ قَوَاعِدَهَا وَكَسَاهَا بَهْجَةً وَطَلاوَةً حَتَّى أَوْفَتْ عَلَى الْغَايَةِ.

وما برح العلماء والْكُتَّابُ فِي سائر الأعصار والأمصار يعنون بالكتابة ويَفْتَنُّونَ فِي تَحْسِيلِهَا وَتَنْوِيعها ويتبادرون فِي إجادتها، والنهوض بها نَحو التقدم إلَى أن بلغت الذروة فِي جمال التنسيق، وكمال التنميق، وبراعة التهذيب، كما هو مشاهد اليوم، والله أعلم.

كتّاب القرآن في عهد الرسول ﷺ ومن اشتهر بها.

اقتضتْ حِكْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى أَلَّا يُنْزِلَ الْقُرْآنَ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَغَيْرِهِ مِنَ الْكُتُبِ السَّمَاوِيَّةِ السَّالِفَةِ؛ بَلْ أَنْزَلَهُ مُنَجَّمًا، مُوَزَّعًا عَلَى الْحَوَادِثِ، مُقَسَّمًا عَلَى الأَزْمَانِ، وَذَلِكَ لِحِكَمٍ جَلِيلَةٍ وَمَصَالِحَ جَمَّةٍ:

منها: أنه كان يَنْزِلُ **بِحَسَبِ** الوقائع والْحَوَادِثِ الَّتِي كَانَتْ تَحْصُلُ فِي الْمُجْتَمَعِ فِي عَهْدِ التَّشْرِيعِ فَتَنْزِلُ الآيَاتُ مُبَيِّنَةً حُكْمَ اللَّهِ فِيهَا، **وَبِحَسَبِ** الأَسْئِلَةِ الَّتِي كَانَتْ تُوَجَّهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَوْ غَيْرِهِمْ فَتَنْزِلُ الآيَاتُ جَوَابًا عَنْهَا، **وَبِحَسَبِ** الشُّبْهَةِ الَّتِي كَانَتْ تَخْتَلِجُ فِي صُدُورِ أَعْدَاءِ الإِسْلامِ فَتَنْزِلُ الآيَاتُ لِدَحْضِهَا بِالْحُجَجِ الدَّامِغَةِ، **وَبِحَسَبِ مَا** كَانَتْ تَقْتَضِيهِ حَالُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ تَقْرِيرِ عَقَائِدِ الدِّينِ وَشَرَائِعِهِ؛ وَأَحْكَامِهِ، وَفَضَائِلِهِ.

ومنها: أَنَّهُ نَزَلَ تَدْرِيجِيًّا لِيَكُونَ أَبلغَ فِي التَّحَدِّي، وَأَظْهَرَ فِي الإِعْجَازِ.

ومنها: أَنَّهُ نَزَلَ كَذَلِكَ لِلتَّدَرُّجِ فِي تَرْبِيَةِ الأُمَّةِ الْعَرَبِيَّةِ تَرْبِيَةً دِينِيَّةً وَخُلُقِيَّةً، وَإِعْدَادُهَا لِمَنْزِلَةِ الْخِلافَةِ فِي الأَرْضِ.

ومنها: تَيْسِيرُ حِفْظِهِ وَفَهْمِهِ وَالْعَمَلِ بِمُقْتَضَاهُ.

ومنها: تَثْبِيتُ فُؤَادِ النَّبِيِّ ﷺ فِي مَوَاطِنِ الْخُصُومَةِ حَتَّى لَا يَبْرَحَ بِهِ الْحُزْنُ عَلَى عَدَمِ إِسْرَاعِ قَوْمِهِ إِلَى الْهِدَايَةِ، وَلِيَتَفَرَّغَ لِتَبْلِيغِ الدَّعْوَةِ بِعَزِيمَةٍ قَوِيَّةٍ وَقَلْبٍ مُطْمَئِنٍّ.

وَكَانَ الْقُرْآنُ يَنْزِلُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَيَحْفَظُهُ وَيُبَلِّغُهُ لِلنَّاسِ، وَيَأْمُرُ كُتَّابَ الْوَحْيِ بِكِتَابَتِهِ، وَيَدُلُّهُمْ عَلَى مَوْضِعِ الْمَكْتُوبِ مِنْ سُورَتِهِ، فَيَقُولُ لَهُمْ: ضَعُوا هَذِهِ السُّورَةَ بِجَانِبِ تِلْكَ السُّورَةِ، وَضَعُوا هَذِهِ الآيَةَ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي يُذْكَرُ فِيهِ كَذَا وَكَذَا.

وَمِنَ الصَّحَابَةِ مَنْ كَانَ يَكْتَفِي بِتَلَقِّيهِ مِن فِيهِ ﷺ.

وَمِنْهُمْ مَنْ كَتَبَ السُّورَةَ أَوِ الآيَاتِ أَوِ السُّوَرَ، وَمِنْهُمْ مَنْ كَتَبَهُ كُلَّهُ أَوْ حَفِظَهُ.

وَكَانُوا يَكْتُبُونَ فِي:

الْعُسُبِ (جَمْعُ عَسِيبٍ وَهُوَ جَرِيدَةُ النخل كانوا يكشطون الخوص ويكتبون على الطرف العريض).

واللخاف (جمع لَخفة بفتح اللام وسكون الخاء؛ وهي: الحجارة والرقاق).

والرقاع (جمع رقعة وهي تكون من جلد أو ورق أو غير ذلك). وقطع الأدم (وهو الجلد).

وعظام الأكتاف (جمع كتف وهو عظم عريض في كتف الحيوان كانوا يكتبون فيه لقلة القراطيس عندهم) والأضلاع (جمع ضلع وهو عظم الجنين).

والذين اشتهروا بكتابة القرآن بين يدي النبي ﷺ:

أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ، وَعُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، وَعُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ، وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَمُعَاوِيَةُ بنُ أَبِي سُفْيَانَ، وَأَبَانُ بْنُ سَعِيدٍ، وَخَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ، وَأُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ، وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، وَثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ، وَغَيْرُ هَؤُلاءِ مِنْ أَجِلاءِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ.

وَلَمْ يَنْقَضِ عَهْدُهُ ﷺ إِلَّا وَالْقُرْآنُ الْكَرِيمُ مَكْتُوبٌ كُلُّهُ، بَيدَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مَجْمُوعًا فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ، وَلا مُرَتَّبَ السور.

وَإِنَّمَا لَمْ يَأْمُرِ الرسولُ بِجمعِ القرآنِ فِي مصحفٍ واحد:

لأن اهتمام الصحابة إنما كان بحفظه واستظهاره.

وأيضا لِما كان يترقبه من ورود زيادة أو ناسخ لبعض أحكامه أو تلاوته.

فلما انقضى نزوله بوفاته ﷺ وأمن توقع النسخ ألهم الله الخلفاء الراشدين جمعه في مكان واحد وفاء بوعده الصادق بضمان حفظه على هذه الأمة، فكان ابتداء ذلك على يد الصديق بمشورة عمر كما سيأتي.

وكان الرسول ﷺ يعارض جبريل بالقرآن مرة في شهر رمضان من كل عام، فلما كان العام الذي قبض فيه عارضه به مرتين. روى البخاري عن فاطمة رضى الله عنها قالت "أسرّ النبي ﷺ إلى أن جبريل كان يعارضني بالقرآن كل سنة مر، وأنه عارضني العام مرتين ولا أراه إلا حضر أجلي.

والخلاصة:

أن القرآن كان مكتوباً كله في العهد النبوي ولكنه لم يكن مجموعاً في مصحف واحد، ولا مرتب السور بل كان مفرقاً في العسب والرقاع وغيرها كما تقدم، وكان مَحفوظا في صدور الصحابة.

إلا أن منهم من كان يَحْفَظُهُ كُلَّهُ لِمُلازمته للرسول ﷺ كالْخُلَفاء الأربعة وغيرهم.

وَمِنْهُمْ مَنْ كَانَ يَحْفَظُ معظمه. وَمِنْهُمْ مَنْ كَانَ يَحْفَظُ بعضه، والله أعلم.

جمع القرآن في عهد أبي بكر وسببه:

جمع القرآن:

تطلق هذه الكلمة على معنيين:

- **الأول**: حفظه في الصدر.
- **والثاني**: كتابته وتدوينه، وقد تحقق كلا الْمَعنيين في عهد النبي ﷺ.

أما المعنى الأول: فقد تحقق بحفظ الرسول ﷺ له في صدره، وانتقاشه على صفحات قلبه، وكذلك بحفظ كثير من الصحابة في حياته ﷺ منهم الْخُلَفَاءُ الأربعة، وطلحة، وسعدٌ، وحذيفة بن اليمانِ، وسالِم مولَى أبِي حذيفة، وأبو هريرة، وابن عمر، وابن عباس، وعمرو بن العاص، وابنه عبد الله، ومعاوية، وابن الزبير، وعبد الله بن السائب، وعائشة، وحفصة، وأم سلمة، وهؤلاء من الْمُهاجرين.

وَحَفِظَهُ مِنَ الأَنْصَارِ فِي حَيَاتِهِ ﷺ: أُبَيُّ بن كعب، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو الدرداء، ومَجمع بن حارثة، وأنس بن مالك وغيرهم.

وأما المعنى الثاني: فقد تَحَقَّقَ فِي حياته ﷺ أيضًا بكتابته كله وتدوينه بين يديه وإن كان مبعثرًا فِي الأحجار والرقاع وغيرها كما سبق.

فَلَم ينتقلِ الرسولُ ﷺ إِلَى الرفيق الأعلى إلا والقرآن كله مَحفوظ فِي صدور مُعظم أصحابه، ومسجل فيما كتبوه فيه منَ العسب واللخاف وغيرها.

ثُمَّ قام بأمر الْمُسلمين بعد النَّبِيِّ ﷺ أحقُّ النَّاسِ بِهِ أبو بكر الصديق بِمبايعة الصحابة له، فحدث فِي عهده ما نَبَّهَ إِلَى وجوب جَمعِ القرآن الكريم فِي مصحفٍ واحد خشية عليه مِنَ التفرق والضياع، فقدْ نَشَبَتِ الْحَرْبُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَهْلِ الرِّدَّةِ مِنْ أتباع مسيلمة الكذاب وغيرهم، وكان من أكبر الْمَلاحِمِ التِي اشتبكت فيها جُمُوع الْمُسلمين بِجموع الْمُرتدين موقعة اليمامة المشهورة، وفيها قتل كثير من قراء الصحابة فلما وصل الْخَبَرُ الْمَدِينَةَ هَالَ ذَلِكَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، فدخل على أبِي بكرٍ فأخبره الْخَبَرَ وَبَيَّنَ لَهُ مَا يَخشاه من ضياع القرآن إذا كثر القتل فِي قراء الصحابة، واقترح عليه جمع القرآن فتردد أبو بكر أولا لأن ذلك أمرٌ محدثٌ لَم تكن له سابقة فِي عهد الرسول ﷺ وكان أبو بكر أحرص الناس على اتباع رسول الله ﷺ، ومُجانبة كل ما لَم يفعله، ولكنه بعد نقاش طويل مع عمر بن الْخطاب ﷺ اقتنع بصواب رأيه، وظهرتْ لَهُ الْمَصْلَحَةُ فيما يعرض عليه، وَعَلِمَ أَنَّ ذَلِكَ الْجَمْعَ – وإن لَم يفعله الرسول – من أكبر وسائل حفظ القرآن الكريم، وصيانته من الضياع، فأقدم على تنفيذ رأى عمر مراعاة لتلك المصلحة، وكان مُوَفَّقًا غاية التوفيق فيها كما كان مُوَفَّقًا فِي غيرها من عظائم الأمور التِي قام بِها، فأرسل إِلَى زيد بن ثابت – بعد استشارة عمر – يدعوه لكتابة القرآن وجَمْعِهِ فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ.

وَإِنَّمَا آثَرَ الصِّدِّيقُ زيدًا بِهَذِهِ الْمَنْقَبَةِ مَعَ أَنَّ فِي الصحابة من هو أكبر منه سنًّا، وأقدم منه إسلاما، وأكثرُ فَضَائِلَ، لأنه: (١): كان من أشهر الصحابة إتقانا لحفظ القرآن الكريم كله، ووعيا لحروفه، وأداءً لقراءاته، وضبطا لإعرابه ولغاته. (٢): وكان مداوما لكتابة الوحي للرسول ﷺ.

(٣): وشهد العرضة الأخيرة للقرآن في حياته ﷺ.

(٤): وكان مع ذلك عاقلاً ورعًا، كامل الدين والعدالة، مأمونا على القرآن غير متهمٍ في دينه ولا خلقه.

فاجتمع فيه من الْمَزَايَا والخصائص ما لَم يَجتمع لغيره من أكابر الصحابة.

فلذلك اختاره أبو بكر للقيام بِهذه الْمُهِمَّةِ العظمى.

فلما حضر عرض عليه أبو بكر فِكْرَةَ جَمْعِ القرآن، واقترح عليه أن يتولّى تنفيذَهَا، فتردد زيدٌ في ذلك وناقش أبا بكر وعمرَ في هذه الفكرة، فما زال به أبو بكر حتى اقتنع بصوابِها ووجوب تنفيذها وشرع في ذلك يتتبع القرآنَ ويَجْمعه مِنَ العسيب واللخاف وصدور الرجال، ويتحرى أن يكونَ مِمَّا كُتِبَ بين يدى رسول الله ﷺ تَحَرِّيًا دقِيقًا حَتَّى أَتَمَّ جَمْعَهُ فِي صُحُفٍ.

وإنما كان زيد يتتبع الْمَكتوب في هذه الأشياء مع حفظه القرآن كله: زيادة في الاحتياط، ومبالغة في الضبط، فتكون الكتابة معاضدة للحفظ، مناصرة له.

وَفِي ذَلِكَ يَرْوِي الْبُخَارِيُّ عن زيد بن ثابت أنه قال: أرسل إِلَيَّ أبو بكر مقتل أهل اليمامة، فإذا عمر بن الخطاب عنده قال أبو بكر ﷺ: إِنَّ عُمَرَ أَتَانِي فَقَالَ: إِنَّ الْقَتْلَ قَدِ استحر يوم اليمامة بقراء القرآن، وإِنِّي أخشى أن يستمر القتلُ بالقراء بِالْمَوَاطِنِ فَيَذْهَبُ كَثِيرٌ مِنَ القرآن، وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَأْمُرَ بِجَمْعِ الْقُرْآنِ، قُلْتُ لعمر: كيف نفعل ما لَمْ يفعله رسول الله ﷺ.

قال عمر: هذا والله خير، فلم يزل عمر يُرَاجِعُنِي حَتَّى شَرَحَ اللَّهُ صَدْرِي لِذَلِكَ، وَرَأَيْتُ فِي ذَلِكَ الذي رأى عمرُ، قَالَ زَيْدٌ قال أبو بكر: إِنَّكَ رَجُلٌ شَابٌّ عَاقِلٌ لا نَتَّهِمُكَ وَقَدْ كُنْتَ تَكْتُبُ الوحي لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَتَتَبَّعِ الْقُرْآنَ فَاجْمَعْهُ. فَوَاللَّهِ لَوْ كَلَّفُونِي نَقْلَ جَبَلٍ مِنَ الْجِبَالِ مَا كَانَ أَثْقَلَ عَلَيَّ مِمَّا أَمَرَنِي بِهِ مِنْ جَمْعِ الْقُرْآنِ قُلْتُ: كَيْفَ تَفْعَلُونَ شَيْئًا لَمْ يَفْعَلْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَ: هُوَ وَاللَّهِ خَيْرٌ، فَلَمْ يَزَلْ أَبُو بَكْرٍ يُرَاجِعُنِي حَتَّى شَرَحَ اللَّهُ صَدْرِي لِلَّذِي شَرَحَ اللَّهُ لَهُ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، فَتَتَبَّعْتُ الْقُرْآنَ أَجْمَعُهُ مِنَ الْعُسُبِ وَاللِّخَافِ وَصُدُورِ الرِّجَالِ حَتَّى وَجَدْتُ آخِرَ سُورَةِ التَّوْبَةِ مَعَ أَبِي خُزَيْمَةَ الأَنْصَارِيِّ لَمْ أَجِدْهَا مَعَ أَحَدٍ غَيْرِهِ ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ الآيَتَيْنِ، فَكَانَتِ الصُّحُفُ عِنْدَ أَبِي بَكْرٍ حَتَّى تَوَفَّاهُ اللَّهُ، ثُمَّ عِنْدَ عُمَرَ حَيَاتَهُ، ثُمَّ عِنْدَ حَفْصَةَ بِنْتِ عُمَرَ.

فَأَنْتَ تَرَى مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ:

أَنَّ جَمْعَ الْقُرْآنِ فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ كَانَ فِي عَهْدِ أَبِي بَكْرٍ ﷺ، وَكَانَ قَبْلَ ذَلِكَ:

مُتَفَرِّقًا فِي الْعُسُبِ وَاللِّخَافِ وَغَيْرِهَا مِمَّا كَانُوا يَكْتُبُونَ فِيهِ، وَكَانَ مَحْفُوظًا فِي صُدُورِ الرِّجَالِ.

وقد ندب أبو بكر لِجمعه زيدَ بنَ ثابت لأنه اجتمع فيه مِنَ الْمناقب ما أوجب تقديمه على غيره واختصاصه بِهذا الأمر الجلل كما سبق.

ولما شرع زيد في جمعه اعتمد على مصدرين:

الأول: ما كان مكتوباً في عهد الرسول الأعظم.

والثاني: ما كان محفوظاً في صدور الحفاظ.

وكان يتوثق في الأخذ من المكتوب غاية التوثق حتى يتيقن أنه مما كتب بين يدي الرسول ﷺ وأنه مما ثبت في العرضة الأخيرة و لم تنسخ تلاوته.

ولذلك لم يكن يقبل شيئاً من المكتوب حتى يشهد شاهدان عدلان أنه كتب أمام الرسول ﷺ.

يدل على ذلك ما أخرجه ابن أبي داود من طريق يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب قال: قدم عمر فقال: من كان تلقى من رسول الله ﷺ شيئاً من القرآن فليأت به وكانوا يكتبون ذلك في المصحف والألواح والعسب وكان لا يقبل من أحد شيئاً حتى يشهد شهيدان.

قال السخاوي: الْمُرَادُ أَنَّهُمَا يَشْهَدَانِ عَلَى أَنَّ ذَلِكَ الْمَكْتُوبَ كُتِبَ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَمْ يَعْتَمِدْ زَيْدٌ عَلَى الْحِفْظِ وَحْدَهُ، وَلِذَلِكَ قَالَ فِي آخِرِ سُورَةِ بَرَاءَةَ أَنَّهُ لَمْ يَجِدْهَا إِلَّا مَعَ أَبِي خُزَيْمَةَ - أَيْ لَمْ يَجِدْهَا مَكْتُوبَةً إِلَّا مَعَهُ - مَعَ أَنَّهُ كَانَ يَحْفَظُهَا. وَكَانَ كَثِيرٌ مِنَ الصَّحَابَةِ يَحْفَظُونَهَا وَلَكِنَّهُ كَانَ يُرِيدُ أَنْ يَجْمَعَ بَيْنَ الْحِفْظِ وَالْكِتَابَةِ زِيَادَةً فِي التَّوَثُّقِ وَمُبَالَغَةً فِي الاحْتِيَاطِ.

وَقَدْ رَاعَى زَيْدٌ فِي كِتَابَةِ هَذِهِ الصُّحُفِ أَنْ تَكُونَ مُشْتَمِلَةً عَلَى مَا ثَبَتَتْ قُرْآنِيَّتُهُ مُتَوَاتِرًا، وَاسْتَقَرَّ فِي الْعَرْضَةِ الأَخِيرَةِ، وَلَمْ تُنْسَخْ تِلاوَتُهُ، وَأَنْ تَكُونَ مُجَرَّدَةً عَمَّا كَانَتْ رِوَايَتُهُ آحَادًا، وَعَمَّا لَيْسَ بِقُرْآنٍ مِنْ شَرْحٍ أَوْ تَأْوِيلٍ. وَأَنْ تَكُونَ مُرَتَّبَةَ الآيَاتِ وَالسُّوَرِ جَمِيعًا.

وَتَمَّ جَمْعُ الْقُرْآنِ عَلَى هَذَا النَّحْوِ مِنْ صُدُورِ الْحُفَّاظِ، وَمِمَّا كُتِبَ بَيْنَ يَدَيِ الرَّسُولِ ﷺ بِإِشْرَافِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ. وَكَانَ جَمْعُهُ فِي عَهْدِ الصِّدِّيقِ ؓ مِنْ أَجَلِّ مَنَاقِبِهِ وَأَفْضَلِ مَزَايَاهُ لِأَنَّه ضَمِنَ لِلْمُسْلِمِينَ حِفْظَ كِتَابِهِمْ مِنَ التَّفَرُّقِ وَالضَّيَاعِ، وِلِذَا قَالَ عَلِيٌّ ؓ: أَعْظَمُ النَّاسِ فِي الْمَصَاحِفِ أَجْرًا أَبُو بَكْرٍ، رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَى أَبِي بَكْرٍ هُوَ أَوَّلُ مَنْ جَمَعَ كِتَابَ اللَّهِ تَعَالَى.

وَإِذَا أَمْعَنْتَ النَّظَرَ فِي صَنِيعِ أَبِي بَكْرٍ فِي كِتَابَةِ الْقُرْآنِ وَجَمْعِهِ لا تَسْتَطِيعُ الْحُكْمَ عَلَيْهِ بِأَنَّهُ مِنَ الأُمُورِ الْمُسْتَحْدَثَةِ الْخَارِجَةِ، وَلا مِنَ الْبِدَعِ الضَّارَّةِ الْمَمْقُوتَةِ، بَلْ هُوَ مُسْتَمَدٌّ مِنَ الْقَوَاعِدِ الَّتِي وَضَعَهَا الرَّسُولُ ﷺ بِتَشْرِيعِ كِتَابَةِ الْقُرْآنِ، وَاتِّخَاذِ كُتَّابٍ يَكْتُبُونَ لَهُ الْوَحْيَ الْمُنَزَّلَ، وَلِذَلِكَ قَالَ الإِمَامُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْمُحَاسِبِيُّ: ((كِتَابَةُ الْقُرْآنِ لَيْسَتْ بِمُحْدَثَةٍ، فَإِنَّهُ ﷺ كَانَ يَأْمُرُ بِكِتَابَتِهِ، وَلَكِنَّهُ كَانَ مُفَرَّقًا فِي الرِّقَاعِ وَالأَكْتَافِ وَغَيْرِهَا، فَإِنَّمَا أَمَرَ الصِّدِّيقُ بِنَسْخِهَا مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ مُجْتَمِعًا وَكَانَ ذَلِكَ بِمَنْزِلَةِ أَوْرَاقٍ وُجِدَتْ فِي بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِيهَا الْقُرْآنُ مُنْتَشِرٌ فَجَمَعَهَا جَامِعٌ وَرَبَطَهَا بِخَيْطٍ حَتَّى لَا يَضِيعَ مِنْهَا شَيْءٌ.

ظلت هذه الصحف التي جمع فيها القرآن في رعاية الخليفة الأول أبي بكر مدة خلافته. ثم انتقلت بعده إلى رعاية الخليفة الثاني عمر بن الخطاب مدة خلافته. ثم عند حفصة بنت عمر بعد وفاة أبيها وبقيت عندها إلى أن ولي مروان المدينة فطلبها منها فأبت، فلما توفيت حضر جنازتها وطلبها من أخيها عبد اللهِ فبعث بهَا إليه فأمر بإحراقها وقال: إنّمَا فعلت هذا لأنّي خشيت إن طال بالناس زمان أن يرتابَ فِي شأنِ هذه الصحف مُرتابٌ.

ولَم يأمر مروان بإحراق هذه الصحف إلا بعد أمر عثمان ؓ بنسخ المصاحف العثمانية وإرسالها إلى الأمصار، وأمره بإحراق كل ما عداها من المصاحف والصحف كما سيأتي قريبا إن شاء الله تعالى.

جَمْعُ القُرآنِ وتَدْوِينُهُ فِي عَهْدِ عُثْمَانَ وَسَبَبُهُ.

بَقِيَتْ تِلْكَ الْمَصَاحِفُ الَّتِي كَتَبَهَا زَيْدٌ بِأَمْرِ الْخَلِيفَةِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ ﷺ عِنْدَ حَفْصَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ صَدْرًا مِنْ خِلَافَةِ عُثْمَانَ ﷺ، وَفِي خِلَافَةِ عُثْمَانَ ﷺ اتَّسَعَتِ الْفُتُوحُ وَتَفَرَّقَ الْمُسْلِمُونَ فِي الْأَمْصَارِ وَالأَقْطَارِ، وَكَانَ أَهْلُ كُلِّ إِقْلِيمٍ مِنْ أَقَالِيمِ الإِسْلَامِ يَأْخُذُونَ بِقِرَاءَةِ مَنِ اشْتَهَرَ بَيْنَهُمْ مِنَ الصَّحَابَةِ، فَأَهْلُ الشَّامِ يَقْرَءُونَ بِقِرَاءَةِ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، وَأَهْلُ الْكُوفَةِ يَقْرَءُونَ بِقِرَاءَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، وَغَيْرُهُمْ يَقْرَأُ بِقِرَاءَةِ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ، فَكَانَ بَيْنَهُمُ اخْتِلَافٌ فِي وُجُوهِ الْقِرَاءَةِ، وَمَنْشَأُ هَذَا الِاخْتِلَافِ إِنْزَالُ الْقُرْآنِ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ كَمَا ثَبَتَ ذَلِكَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِطَرِيقِ التَّوَاتُرِ، وَكَانَ الَّذِي يَسْمَعُ هَذَا الِاخْتِلَافَ مِنْ أَهْلِ تِلْكَ الأَمْصَارِ إِذَا احْتَوَتْهُمُ الْمَجَامِعُ، أَوِ الْتَقَوْا عَلَى جِهَادِ أَعْدَائِهِمْ يَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ أَشَدَّ الْعَجَبِ، وَكَانَ هَذَا الِاخْتِلَافُ مَدْعَاةً إِلَى فَتْحِ بَابِ الشِّقَاقِ وَالنِّزَاعِ فِي قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، لِأَنَّ كُلَّ فَرِيقٍ يَدَّعِي أَنَّهُ الَّذِي عَلَى الْحَقِّ، وَأَنَّ غَيْرَهُ عَلَى الْبَاطِلِ، وَكَانَ بَعْضُهُمْ يَفْخَرُ عَلَى بَعْضٍ فِي قِرَاءَتِهِ مُعْتَقِدًا أَنَّهَا الصَّوَابُ وَحْدَهَا، فَيَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: قِرَاءَتِي خَيْرٌ مِنْ قِرَاءَتِكَ، وَيَرُدُّ عَلَيْهِ الآخَرُ بِالْمِثْلِ، وَهَكَذَا، حَتَّى أَفْضَى ذَلِكَ بِهِمْ إِلَى تَأْثِيمِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا، وَإِنْكَارِ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ.

وَفِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ أَوِ الثَّالِثَةِ – عَلَى اخْتِلَافِ الرِّوَايَاتِ – مِنْ خِلَافَةِ عُثْمَانَ ﷺ سَنَةَ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ مِنَ الْهِجْرَةِ اجْتَمَعَ أَهْلُ الشَّامِ وَأَهْلُ الْعِرَاقِ فِي غَزْوَةِ أَرْمِينِيَةَ وَأَذْرَبِيجَانَ وَكَانَ فِيمَنْ غَزَاهَا مَعَ أَهْلِ الْعِرَاقِ حُذَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ، فَرَأَى كَثْرَةَ اخْتِلَافِ الْمُسْلِمِينَ فِي وُجُوهِ الْقِرَاءَةِ، وَسَمِعَ مَا كَانَتْ تَنْطِقُ بِهِ أَلْسِنَتُهُمْ مِنْ كَلِمَاتِ التَّجْرِيحِ وَالتَّأْثِيمِ الَّتِي يَقْذِفُ بِهَا بَعْضُهُمْ بَعْضًا حِينَ اخْتِلَافِهِمْ فِي أَوْجُهِ الْقِرَاءَةِ، فَاسْتَعْظَمَ ذَلِكَ حُذَيْفَةُ وَأَكْبَرَهُ فَفَزِعَ إِلَى عُثْمَانَ وَأَخْبَرَهُ بِالَّذِي رَأَى وَقَالَ لَهُ: أَدْرِكِ النَّاسَ قَبْلَ أَنْ يَخْتَلِفُوا فِي كِتَابِهِمُ الَّذِي هُوَ أَصْلُ الشَّرِيعَةِ كَمَا اخْتَلَفَ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى، فَجَمَعَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ أَعْلَامَ الصَّحَابَةِ وَذَوِي الرَّأْيِ مِنْهُمْ وَأَخَذُوا يَبْحَثُونَ عَنْ عِلَاجٍ لِهَذِهِ الْفِتْنَةِ، وَوَضْعِ حَدٍّ لِهَذَا الِاخْتِلَافِ، فَأَجْمَعُوا رَأْيَهُمْ عَلَى نَسْخِ مَصَاحِفَ، يُرْسَلُ إِلَى كُلِّ مِصْرٍ مِنَ الأَمْصَارِ مُصْحَفٌ يَكُونُ مَرْجِعًا لِلنَّاسِ عِنْدَ الِاخْتِلَافِ وَمَوْئِلًا عِنْدَ التَّنَازُعِ، وَعَلَى إِحْرَاقِ كُلِّ مَا عَدَا هَذِهِ الْمَصَاحِفِ، وَبِذَلِكَ تَجْتَمِعُ الْكَلِمَةُ وَتُوَحَّدُ الصُّفُوفُ، وَيُسْتَأْصَلُ دَابِرُ الْخِلَافِ.

ثُمَّ شَرَعَ عُثْمَانُ فِي تَنْفِيذِ مَا أَجْمَعُوا عَلَيْهِ، وَنَدَبَ لِلْقِيَامِ بِهَذِهِ الْمَهَمَّةِ الْخَطِيرَةِ أَرْبَعَةً مِنْ أَجِلَّاءِ الصَّحَابَةِ وَثِقَاتِ الْحُفَّاظِ، وَهُمْ:

زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ وَهُوَ الَّذِي اخْتَارَهُ أَبُو بَكْرٍ لِجَمْعِ الْقُرْآنِ لِمَا امْتَازَ بِهِ مِنَ الْمَنَاقِبِ السَّابِقَةِ.

وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ. وَسَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ. وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ، وَهَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةُ قُرَشِيُّونَ.

وَأَرْسَلَ عُثْمَانُ إِلَى حَفْصَةَ أَنْ أَرْسِلِي إِلَيْنَا بِالصُّحُفِ الَّتِي عِنْدَكِ فَأَرْسَلَتْهَا إِلَيْهِمْ فَأَخَذُوا فِي نَسْخِهَا.

وَجَاءَ فِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ أَنَّ الَّذِينَ نُدِبُوا لِنَسْخِ الْمَصَاحِفِ اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ مِنْهُمْ: أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ.

قَانُونُ عُثْمَانَ فِي كِتَابَةِ الْمُصْحَفِ:

- كَانَ نَسْخُ هَذِهِ الْمَصَاحِفِ بِإِشْرَافِ الْخَلِيفَةِ عُثْمَانَ، وَأَعْلَامِ الصَّحَابَةِ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ.
- وَكَانُوا لَا يَكْتُبُونَ فِي هَذِهِ الْمَصَاحِفِ شَيْئًا إِلَّا بَعْدَ أَنْ يُعْرَضَ عَلَى الصَّحَابَةِ جَمِيعًا وَيَتَحَقَّقُوا أَنَّهُ قُرْآنٌ، وَأَنَّهُ لَمْ تُنْسَخْ تِلَاوَتُهُ، وَاسْتَقَرَّ فِي الْعَرْضَةِ الأَخِيرَةِ، فَلَمْ يَكْتُبُوا مَا نُسِخَتْ تِلَاوَتُهُ وَلَمْ يَكُنْ فِي الْعَرْضَةِ الأَخِيرَةِ، وَلَا مَا كَانَتْ رِوَايَتُهُ آحَادًا، وَلَا مَا لَيْسَ بِقُرْآنٍ كَالَّذِي كَانَ يَكْتُبُهُ بَعْضُ الصَّحَابَةِ فِي مَصَاحِفِهِمُ الْخَاصَّةِ شَرْحًا لِمَعْنًى، أَوْ بَيَانًا لِنَاسِخٍ أَوْ مَنْسُوخٍ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ.
- <u>وَقَدْ كَتَبُوا مَصَاحِفَ مُتَعَدِّدَةً:</u>

لِأَنَّ عُثْمَانَ قَصَدَ إِرْسَالَ مَا وَقَعَ عَلَيْهِ إِجْمَاعُ الصَّحَابَةِ إِلَى الأَقْطَارِ الإِسْلَامِيَّةِ، وَهِيَ أَيْضًا مُتَعَدِّدَةٌ.

- <u>وَكَتَبُوا هَذِهِ الْمَصَاحِفَ مُتَفَاوِتَةً فِي الْحَذْفِ وَالإِثْبَاتِ، وَالنَّقْصِ وَالزِّيَادَةِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ:</u>

لِأَنَّهُ قَصَدَ اشْتِمَالَهَا عَلَى الأَحْرُفِ السَّبْعَةِ الَّتِي نَزَلَ عَلَيْهَا الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ.

وَجُعِلَتْ خَالِيَةً مِنَ النَّقْطِ وَالشَّكْلِ؛ تَحْقِيقًا لِهَذَا الْغَرَضِ أَيْضًا.

- فَالْكَلِمَاتُ الَّتِي اشْتَمَلَتْ عَلَى أَكْثَرَ مِنْ قِرَاءَةٍ؛ <u>وَخُلُوُّهَا</u> مِنَ النَّقْطِ وَالشَّكْلِ <u>يَجْعَلُهَا</u> مُحْتَمِلَةً لِمَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ مِنَ الْقِرَاءَاتِ: تُكْتَبُ بِرَسْمٍ وَاحِدٍ فِي جَمِيعِ الْمَصَاحِفِ.

وَذَلِكَ نَحْوُ: "فَتَبَيَّنُوا" وَ "نُنْشِزُهَا" وَ "هَيْتَ لَكَ" وَ "أُفٍّ" وَهَكَذَا.

- وَأَمَّا الْكَلِمَاتُ الَّتِي تَضَمَّنَتْ قِرَاءَتَيْنِ أَوْ أَكْثَرَ، <u>وَتَجْرِيدُهَا</u> مِنَ النَّقْطِ وَالشَّكْلِ <u>لَا يَجْعَلُهَا</u> مُحْتَمِلَةً لِمَا وَرَدَ فِيهَا مِنَ الْقِرَاءَاتِ: لَا تُكْتَبُ بِرَسْمٍ وَاحِدٍ فِي جَمِيعِ الْمَصَاحِفِ؛ بَلْ تُرْسَمُ فِي بَعْضِ الْمَصَاحِفِ بِرَسْمٍ يَدُلُّ عَلَى قِرَاءَةٍ، وَفِي بَعْضِهَا بِرَسْمٍ آخَرَ يَدُلُّ عَلَى الْقِرَاءَةِ الأُخْرَى.

نَحْوُ: ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ﴾ بِالْبَقَرَةِ، فَقَدْ رُسِمَتْ فِي بَعْضِ الْمَصَاحِفِ بِوَاوَيْنِ قَبْلَ الصَّادِ مِنْ غَيْرِ أَلِفٍ بَيْنَهُمَا، وَفِي بَعْضِهَا بِإِثْبَاتِ أَلِفٍ بَيْنَ الْوَاوَيْنِ. **وَنَحْوُ:** ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ بِآلِ عِمْرَانَ، رُسِمَ فِي بَعْضِ الْمَصَاحِفِ بِوَاوٍ قَبْلَ السِّينِ، وَفِي بَعْضِهَا بِحَذْفِ الْوَاوِ. **وَنَحْوُ:** ﴿تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ﴾ فِي التَّوْبَةِ فِي الْمَوْضِعِ الأَخِيرِ فِيهَا؛ رُسِمَتْ فِي الْمُصْحَفِ الْمَكِّيِّ بِزِيَادَةِ (مِنْ) قَبْلَ (تَحْتِهَا)؛ وَفِي بَقِيَّةِ الْمَصَاحِفِ بِحَذْفِهَا، وَهَكَذَا.

- <u>وَإِنَّمَا لَمْ يَكْتُبُوا هَذَا النَّوْعَ مِنَ الْكَلِمَاتِ بِرَسْمَيْنِ مَعًا فِي مُصْحَفٍ وَاحِدٍ:</u>

خَشْيَةَ أَنْ يُتَوَهَّمَ أَنَّ اللَّفْظَ نَزَلَ مُكَرَّرًا فِي قِرَاءَةٍ وَاحِدَةٍ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ، بَلْ هُمَا قِرَاءَتَانِ نَزَلَ اللَّفْظُ فِي إِحْدَاهُمَا بِوَجْهٍ، وَفِي الثَّانِيَةِ بِوَجْهٍ آخَرَ مِنْ غَيْرِ تِكْرَارٍ فِي وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا.

- <u>وَكَذَلِكَ لَمْ يَكْتُبُوا هَذِهِ الْكَلِمَاتِ بِرَسْمَيْنِ، أَحَدُهُمَا فِي الأَصْلِ، وَالثَّانِي فِي الْحَاشِيَةِ:</u>

لِئَلَّا يُتَوَهَّمَ أَنَّ الثَّانِيَ تَصْحِيحٌ لِلأَوَّلِ؛ وَأَنَّ الأَوَّلَ خَطَأٌ، عَلَى أَنَّ كِتَابَةَ أَحَدِهِمَا فِي الأَصْلِ وَالآخَرِ فِي الْحَاشِيَةِ تَحَكُّمٌ وَتَرْجِيحٌ بِلَا مُرَجِّحٍ.

۞ وَالَّذِي دَعَا الصَّحَابَةَ إِلَى سُلُوكِ هَذَا الْمَنْهَجِ فِي كِتَابَةِ الْمَصَاحِفِ: أَنَّهُمْ تَلَقَّوُا الْقُرْآنَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِجَمِيعِ وُجُوهِ قِرَاءَاتِهِ وَحُرُوفِهِ الَّتِي نَزَلَ بِهَا، فَكَانَتْ هَذِهِ الطَّرِيقَةُ أَدْنَى إِلَى الإِحَاطَةِ بِالْوُجُوهِ الَّتِي عَلَيْهَا الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ، فَلَا يُقَالُ: (إِنَّهُمْ أَسْقَطُوا شَيْئًا مِنْ قِرَاءَاتِهِ)؛ لِأَنَّهَا كُلَّهَا مَنْقُولَةٌ نَقْلًا مُتَوَاتِرًا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

۞ وَمِنْ هُنَا يَتَّضِحُ جَلِيًّا أَنَّ اخْتِلَافَ الْقُرَّاءِ الَّذِي أَفْزَعَ حُذَيْفَةَ وَعُثْمَانَ وَكَانَ سَبَبًا فِي كِتَابَةِ الْمَصَاحِفِ إِنَّمَا كَانَ فِي قِرَاءَاتٍ وَأَحْرُفٍ تَلَقَّاهَا قُرَّاؤُهُمْ قَبْلَ الْعَرْضَةِ الأَخِيرَةِ؛ ثُمَّ نُسِخَتْ بِهَذِهِ الْعَرْضَةِ؛ وَلَكِنْ نَسْخُهَا لَمْ يَبْلُغْ هَؤُلَاءِ الْقُرَّاءَ، وَإِلَّا لَوْ كَانَ مَقْصِدُ عُثْمَانَ جَمْعَ النَّاسِ عَلَى حَرْفٍ وَاحِدٍ وَإِلْغَاءَ بَاقِي الأَحْرُفِ الَّتِي نَزَلَ بِهَا الْقُرْآنُ مَا جَعَلَ الْمَصَاحِفَ مُتَفَاوِتَةً فِي الْحَذْفِ وَالإِثْبَاتِ الخ؛ مَا تَقَدَّمَ.

فَكِتَابَةُ الْمَصَاحِفِ عَلَى هَذِهِ الْكَيْفِيَّةِ: دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ عُثْمَانَ رضي الله عنه أَرَادَ جَمْعَ النَّاسِ عَلَى مَا تَوَاتَرَ مِنَ الْقِرَاءَاتِ دُونَ مَا نُسِخَ، أَوْ شَذَّ مِنْهَا.

۞ **وَكَانَ مِنْ قَانُونِ عُثْمَانَ فِي كِتَابَةِ الْمَصَاحِفِ أَيْضًا:** أَنَّهُ قَالَ لِهَؤُلَاءِ الْقُرَشِيِّينَ الثَّلَاثَةِ: «إِذَا اخْتَلَفْتُمْ أَنْتُمْ وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ فِي شَيْءٍ مِنَ الْقُرْآنِ فَاكْتُبُوهُ بِلِسَانِ قُرَيْشٍ، فَإِنَّمَا نَزَلَ بِلِسَانِهِمْ» فَفَعَلُوا. (البخارى)

وَقَدْ وَرَدَ أَنَّهُمُ اخْتَلَفُوا فِي كِتَابَةِ (التَّابُوتِ)، فَقَالَ زَيْدٌ: (التَّابُوهُ) بِالْهَاءِ، وَقَالَ الْقُرَشِيُّونَ: (التَّابُوتُ) بِالتَّاءِ الْمَفْتُوحَةِ، فَرَفَعُوا أَمْرَهُمْ إِلَى عُثْمَانَ؛ فَأَمَرَهُمْ أَنْ يَكْتُبُوهُ بِالتَّاءِ الْمَفْتُوحَةِ لِأَنَّهُ كَذَلِكَ فِي لُغَةِ قُرَيْشٍ.

وَلَمَّا أَتَمُّوا نَسْخَ الصُّحُفِ فِي الْمَصَاحِفِ: رَدَّ عُثْمَانُ الصُّحُفَ إِلَى حَفْصَةَ، وَأَرْسَلَ إِلَى كُلِّ أُفُقٍ مِنَ الآفَاقِ الإِسْلَامِيَّةِ بِمُصْحَفٍ مِمَّا نَسَخُوا، وَأَمَرَ بِمَا سِوَاهُ مِنَ الْقُرْآنِ فِي كُلِّ صَحِيفَةٍ أَوْ مُصْحَفٍ أَنْ يُحْرَقَ، سَدًّا لِبَابِ الشَّرِّ وَالْفِتْنَةِ، وَحَسْمًا لِمَادَّةِ النِّزَاعِ، وَحَمْلًا لِلْمُسْلِمِينَ عَلَى أَنْ يَجْعَلُوا هَذِهِ الْمَصَاحِفَ الْمَرْجِعَ الْوَحِيدَ، وَالأَصْلَ الْمُعْتَمَدَ، وَالْمُعْتَمَدَ الأَصِيلَ.

وَفِي ذَلِكَ يَرْوِي الْبُخَارِيُّ أَنَّ حُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ، قَدِمَ عَلَى عُثْمَانَ وَكَانَ يُغَازِي أَهْلَ الشَّامِ فِي فَتْحِ أَرْمِينِيَةَ، وَأَذْرَبِيجَانَ مَعَ أَهْلِ الْعِرَاقِ، فَأَفْزَعَ حُذَيْفَةَ اخْتِلَافُهُمْ فِي الْقِرَاءَةِ، فَقَالَ حُذَيْفَةُ لِعُثْمَانَ: "يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَدْرِكْ هَذِهِ الأُمَّةَ، قَبْلَ أَنْ يَخْتَلِفُوا فِي الْكِتَابِ اخْتِلَافَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى"، فَأَرْسَلَ عُثْمَانُ إِلَى حَفْصَةَ: «أَنْ أَرْسِلِي إِلَيْنَا بِالصُّحُفِ نَنْسَخُهَا فِي الْمَصَاحِفِ، ثُمَّ نَرُدُّهَا إِلَيْكِ»، فَأَرْسَلَتْ بِهَا حَفْصَةُ إِلَى عُثْمَانَ، فَأَمَرَ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ، وَسَعِيدَ بْنَ الْعَاصِ، وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ فَنَسَخُوهَا فِي الْمَصَاحِفِ، وَقَالَ عُثْمَانُ لِلرَّهْطِ الْقُرَشِيِّينَ الثَّلَاثَةِ: «إِذَا اخْتَلَفْتُمْ أَنْتُمْ وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ فِي شَيْءٍ مِنَ الْقُرْآنِ فَاكْتُبُوهُ بِلِسَانِ قُرَيْشٍ، فَإِنَّمَا نَزَلَ بِلِسَانِهِمْ» فَفَعَلُوا؛ حَتَّى إِذَا نَسَخُوا الصُّحُفَ فِي الْمَصَاحِفِ، رَدَّ عُثْمَانُ الصُّحُفَ إِلَى حَفْصَةَ، وَأَرْسَلَ إِلَى كُلِّ أُفُقٍ بِمُصْحَفٍ مِمَّا نَسَخُوا، وَأَمَرَ بِمَا سِوَاهُ مِنَ الْقُرْآنِ فِي كُلِّ صَحِيفَةٍ أَوْ مُصْحَفٍ، أَنْ يُحْرَقَ. (صحيح البخارى)

وَرَوَى أَبُو قِلَابَةَ: أَنَّ عُثْمَانَ رضي الله عنه كَتَبَ إِلَى أَهْلِ الأَمْصَارِ يَأْمُرُ بِمَحْوِ مَا عِنْدَهُمْ مِمَّا يُخَالِفُ مُصْحَفَهُ.

وَلَكِنْ أَكْثَرُ الرِّوَايَاتِ عَلَى أَنَّهُ أَمَرَ بِإِحْرَاقِهَا.

قَالَ بَعْضُ الأَفَاضِلِ: وَإِنَّمَا لَمْ يَحْرِقْ عُثْمَانُ مُصْحَفَ حَفْصَةَ كَمَا أَحْرَقَ غَيْرَهَا، لِأَنَّ هَذِهِ الصُّحُفَ اعْتُبِرَتْ مَصْدَرًا وَأَصْلًا لِمُصْحَفِهِ، وَانْعَقَدَ عَلَيْهَا إِجْمَاعُ الصَّحَابَةِ، وَأَمَّا غَيْرُهَا فَقَدْ تَكُونُ مُخَالِفَةً لِمَصَاحِفِهِ؛ فَتَكُونُ سَبَبًا لِلاخْتِلَافِ.

كَمْ مَرَّةً جُمِعَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ:

مِمَّا تَقَدَّمَ تَعْرِفُ أَنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ جُمِعَ - بِمَعْنَى كُتِبَ - ثَلَاثَ مَرَّاتٍ.

الْأُولَى: فِي الْعَهْدِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ.

وَالثَّانِيَةُ: فِي عَهْدِ الصِّدِّيقِ ﷺ.

وَالثَّالِثَةُ: فِي عَهْدِ عُثْمَانَ ﷺ.

وَتَسْتَطِيعُ أَنْ تُفَرِّقَ بَيْنَ جَمْعِهِ فِي عُهُودِهِ الثَّلَاثَةِ.

فَالْجَمْعُ فِي الْعَهْدِ النَّبَوِيِّ: عِبَارَةٌ عَنْ كِتَابَةِ الْآيَاتِ وَتَرْتِيبِهَا وَوَضْعِهَا فِي مَكَانِهَا الْخَاصِّ مِنْ سُوَرِهَا وَلَكِنْ مَعَ بَعْثَرَةِ الْكِتَابَةِ وَتَفَرُّقِهَا بَيْنَ عُسُبٍ وَعِظَامٍ وَغَيْرِهَا كَمَا سَبَقَ.

وَكَانَ الْمَقْصُودُ مِنْ هَذَا الْجَمْعِ "بِمَعْنَى الْكِتَابَةِ": زِيَادَةُ التَّحَرِّي فِي ضَبْطِ أَلْفَاظِهِ وَحِفْظِ كَلِمَاتِهِ، فَوْقَ مَا فِي ذَلِكَ مِنْ تَقْدِيسِ الْقُرْآنِ، وَالتَّنْبِيهِ عَلَى رِفْعَةِ شَأْنِهِ كَمَا هُوَ الشَّأْنُ فِي تَقْيِيدِ الْأَشْيَاءِ النَّفِيسَةِ، وَإِنْ كَانَ الْمُعَوَّلُ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ مُجَرَّدَ الْحِفْظِ فِي الصُّدُورِ.

وَالْجَمْعُ فِي عَهْدِ الصِّدِّيقِ: عِبَارَةٌ عَنْ نَقْلِ الْقُرْآنِ جَمِيعِهِ وَكِتَابَتِهِ فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ بِالتَّوَاتُرِ.

وَكَانَ الْغَرَضُ مِنْهُ: الِاحْتِيَاطُ وَالْمُبَالَغَةُ فِي حِفْظِ هَذَا الْكِتَابِ خَوْفًا عَلَيْهِ، أَوْ عَلَى شَيْءٍ مِنْهُ مِنَ الضَّيَاعِ بِمَوْتِ حَمَلَتِهِ وَحُفَّاظِهِ.

وَأَمَّا الْجَمْعُ فِي عَهْدِ عُثْمَانَ: فَهُوَ عِبَارَةٌ عَنْ نَقْلِ مَا فِي الصُّحُفِ السَّابِقَةِ فِي مَصَاحِفَ وَإِرْسَالِ هَذِهِ الْمَصَاحِفِ إِلَى أَقْطَارِ الْإِسْلَامِ.

وَكَانَ الْمَقْصُودُ مِنْ جَمْعِ الْقُرْآنِ وَكِتَابَتِهِ فِي تِلْكَ الْمَصَاحِفِ: الْقَضَاءُ عَلَى الْفِتْنَةِ الَّتِي ظَهَرَتْ فِي صُفُوفِ الْمُسْلِمِينَ، وَتَوْحِيدُ كَلِمَتِهِمْ، وَحَمْلُهُمْ عَلَى مَا تَضَمَّنَتْهُ تِلْكَ الْمَصَاحِفُ مِنَ الْقِرَاءَاتِ الثَّابِتَةِ الْمُتَوَاتِرَةِ دُونَ مَا لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ مِنَ الْأَوْجُهِ الَّتِي نَزَلَتْ أَوَّلًا لِلتَّيْسِيرِ، ثُمَّ نُسِخَتْ بِالْعَرْضَةِ الْأَخِيرَةِ.

قَالَ الْقَاضِي أَبُو بَكْرٍ الْبَاقِلَّانِيُّ: "لَمْ يَقْصِدْ عُثْمَانُ قَصْدَ أَبِي بَكْرٍ فِي نَفْسِ جَمْعِ الْقُرْآنِ بَيْنَ لَوْحَيْنِ، وَإِنَّمَا قَصَدَ جَمْعَهُمْ عَلَى الْقِرَاءَاتِ الثَّابِتَةِ الْمَعْرُوفَةِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ وَإِلْغَاءَ مَا لَيْسَ كَذَلِكَ، وَأَخْذَهُمْ بِمُصْحَفٍ لَا تَقْدِيمَ فِيهِ وَلَا تَأْخِيرَ، وَلَا تَأْوِيلَ أُثْبِتَ مَعَ تَنْزِيلٍ، وَلَا مَنْسُوخَ تِلَاوَتِهِ كُتِبَ مَعَ مُثْبَتِ رَسْمِهِ وَمَفْرُوضِ قِرَاءَتِهِ وَحِفْظِهِ خَشْيَةَ دُخُولِ الْفَسَادِ وَالشُّبْهَةِ عَلَى مَنْ يَأْتِي بَعْدُ" اهـ

المَصَاحِفُ العُثْمَانِيَّةُ.

عددها. حالتها. كيف أرسلت إلى الأمصار. موقف المسلمين إزاءها.

عدد المصاحف:

اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي عَدَدِ الْمَصَاحِفِ الَّتِي أَرْسَلَهَا عُثْمَانُ ﷺ إِلَى الأفَاقِ عَلَى أَقْوَالٍ كَثِيرَةٍ، وَأَصَحُّهَا فِي ذَلِكَ وَأَوْلَاهَا بِالْقَبُولِ أَنَّهَا سِتَّةٌ:

(١) الْبَصْرِيُّ، (٢) الْكُوفِيُّ، (٣) الشَّامِيُّ، (٤) الْمَكِّيُّ، (٥) الْمَدَنِيُّ الْعَامُّ لأَهْلِ الْمَدِينَةِ، (٦) الْمَدَنِيُّ الْخَاصُّ، وَهُوَ الَّذِي حَبَسَهُ عُثْمَانُ لِنَفْسِهِ، وَهُوَ الَّذِي يُسَمَّى بِالْمُصْحَفِ الإِمَامِ، وَلَعَلَّ إِطْلَاقَ هَذَا الاسْمِ عَلَيْهِ نَظَرًا لِأَنَّهُ الَّذِي نُسِخَ أَوَّلاً وَمِنْهُ نُسِخَتِ الْمَصَاحِفُ الأُخْرَى، وَلَا مَانِعَ مِنْ إِطْلَاقِ هَذَا الاسْمِ عَلَى كُلِّ مُصْحَفٍ مِنْهَا لاقْتِدَاءِ أَهْلِ الأَمْصَارِ بِهَا.

حالة المصاحف:

عَرَفْتَ مِمَّا سَبَقَ مَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ الْمَصَاحِفُ الْعُثْمَانِيَّةُ مِنَ الْمَزَايَا وَالْخَصَائِصِ، وَنُرِيدُ فِي هَذَا الْبَحْثِ أَنْ نَقِفَكَ عَلَى هَذِهِ الْحَقِيقَةِ: هَلْ كَانَتْ هَذِهِ الْمَصَاحِفُ مُشْتَمِلَةً عَلَى الأَحْرُفِ السَّبْعَةِ الَّتِي نَزَلَ عَلَيْهَا الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ، أَمْ كُتِبَتْ عَلَى حَرْفٍ وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ الأَحْرُفِ؟!

ذهب فريق من العلماء: إِلَى أَنَّ الْمَصَاحِفَ الْعُثْمَانِيَّةَ لَيْسَ فِيهَا إِلَّا حَرْفٌ وَاحِدٌ مِنَ الأَحْرُفِ السَّبْعَةِ وَهُوَ حَرْفُ قُرَيْشٍ.

مُحْتَجِّينَ عَلَى ذَلِكَ: بِأَنَّ بَاقِي الأَحْرُفِ إِنَّمَا أُنْزِلَتْ فِي ابْتِدَاءِ الأَمْرِ فِي صَدْرِ الإِسْلَامِ لِلتَّيْسِيرِ عَلَى الأُمَّةِ، وَرَفْعِ الْحَرَجِ وَالْمَشَقَّةِ عَنْهَا، وَلَمَّا رَأَى عُثْمَانُ أَنَّ الْقِرَاءَةَ بِالأَحْرُفِ السَّبْعَةِ أَصْبَحَتْ مَثَارَ شِقَاقٍ وَفُرْقَةٍ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، وَأَنَّهَا إِنَّمَا أُنْزِلَتِ ابْتِدَاءً لِلتَّيْسِيرِ وَالتَّسْهِيلِ لِأَنَّ إِلْزَامَ جَمِيعِ الْقَبَائِلِ الْعَرَبِيَّةِ بِالْتِزَامِ لُغَةٍ وَاحِدَةٍ لَمْ تَتَعَوَّدْهَا أَلْسِنَتُهُمْ يُوقِعُهُمْ فِي الْحَرَجِ وَالْمَشَقَّةِ، وَأَنَّ الْحَاجَةَ إِلَى هَذِهِ اللُّغَاتِ وَالأَحْرُفِ قَدِ انْتَهَت، اقْتَصَرَ فِي كِتَابَةِ الْمَصَاحِفِ مِنْ هَذِهِ الأَحْرُفِ وَاللُّغَاتِ عَلَى وَاحِدَةٍ هِيَ لُغَةُ قُرَيْشٍ، وَأَمَرَ كُتَّابَ الْمَصَاحِفِ بِأَنْ يَقْتَصِرُوا فِي كِتَابَتِهِمْ عَلَيْهَا مُحْتَجًّا عَلَى ذَلِكَ بِأَنَّ الْقُرْآنَ قَدْ نَزَلَ بِهَا، وَلِذَلِكَ قَالَ لِهَؤُلَاءِ الْكُتَّابِ: «إِذَا اخْتَلَفْتُمْ أَنْتُمْ وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ فِي شَيْءٍ مِنَ الْقُرْآنِ فَاكْتُبُوهُ بِلِسَانِ قُرَيْشٍ، فَإِنَّمَا نَزَلَ بِلِسَانِهِمْ».

وَذَهَبَ جَمَاهِيرُ الْعُلَمَاءِ مِنَ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ: إِلَى أَنَّ الْمَصَاحِفَ مُشْتَمِلَةٌ عَلَى مَا يَحْتَمِلُهُ رَسْمُهَا مِنَ الأَحْرُفِ السَّبْعَةِ، وَمُتَضَمِّنَةٌ لِمَا ثَبَتَ مِنَ الْقِرَاءَاتِ الْمُتَوَاتِرَةِ فِي الْعَرْضَةِ الأَخِيرَةِ لِأَنَّهَا – كَمَا عَلِمْتَ – كَانَتْ خَالِيَةً مِنَ النَّقْطِ وَالشَّكْلِ، فَكَانَتْ مُحْتَمِلَةً لِلأَحْرُفِ السَّبْعَةِ، لَا عَلَى مَعْنَى أَنَّ كُلَّ مُصْحَفٍ مُشْتَمِلٌ عَلَى جَمِيعِ الأَحْرُفِ السَّبْعَةِ؛ بَلْ عَلَى مَعْنَى أَنَّ كُلَّ مُصْحَفٍ مِنْهَا مُشْتَمِلٍ عَلَى مَا يَحْتَمِلُهُ رَسْمُهُ مِنْ هَذِهِ الأَحْرُفِ، وَأَنَّ مَجْمُوعَهَا لَا يَخْلُو عَنِ الأَحْرُفِ السَّبْعَةِ.

فَالأَحْرُفُ السَّبْعَةُ مُنْتَشِرَةٌ فِي الْمَصَاحِفِ السِّتَّةِ، مُتَفَرِّقَةٌ فِيهَا، فَقِرَاءَةُ (وَوَصَّى) مَثَلاً وَإِنْ لَمْ تُوجَدْ فِي الْمُصْحَفِ الْمَدَنِي وَالشَّامِي فَقَدْ وُجِدَتْ فِي غَيْرِهِمَا، وَقِرَاءَةُ (تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ) بِالتَّوْبَةِ فِي الْمَوْضِعِ الأَخِيرِ مِنْهَا مَوْجُودَةٌ فِي الْمُصْحَفِ الْمَكِّيِّ وَهَكَذَا.

وَأَمَّا الْقِرَاءَاتُ الثَّابِتَةُ فِي مِثْلِ: (فَتَبَيَّنُوا) وَ(هَيْتَ لَكَ) وَ(أُفٍ) فَكُلُّ مُصْحَفٍ يَحْتَمِلُهَا ضَرُورَةَ خُلُوِّهِ مِنَ النَّقْطِ وَالشَّكْلِ.

وَالخُلاصَةُ: أَنَّكَ لَوْ نَظَرْتَ إِلَى الْمَصَاحِفِ مُجْتَمِعَةً لَوَجَدْتَهَا مُشْتَمِلَةً عَلَى الأَحْرُفِ السَّبْعَةِ، وَلَوَجَدتَّ هَذِهِ الأَحْرُفَ مَبْثُوثَةً فِيهَا.

وَهَذَا الْمَذْهَبُ هُوَ الَّذِي يَطْمَئِنُّ إِلَيْهِ الْقَلْبُ، وَيَهْدِي إِلَيْهِ النَّظَرُ، وَتَدُلُّ عَلَيْهِ الْبَرَاهِينُ، وَإِلَيْكَ بَيَانُهَا:

أولا: إِنَّ هَذِهِ الْمَصَاحِفَ الْعُثْمَانِيَّةَ قَدْ نُسِخَتْ مِنَ الصُّحُفِ الَّتِي أَمَرَ الصِّدِّيقُ بِجَمْعِهَا، وَقَدْ أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّ هَذِهِ الصُّحُفَ سُجِّلَ فِيهَا مَا تَوَاتَرَ ثُبُوتُهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مِنَ الأَحْرُفِ السَّبْعَةِ، وَاسْتَقَرَّ فِي الْعَرْضَةِ الأَخِيرَةِ وَلَمْ تُنْسَخْ تِلاوَتُهُ، فَصُحُفُ أَبِي بَكْرٍ تُعْتَبَرُ أَصْلاً وَمَصْدَرًا لِمُصْحَفِ عُثْمَانَ ﷺ.

ثانيا: لَمْ يُرْوَ فِي خَبَرٍ صَحِيحٍ وَلَا ضَعِيفٍ أَنَّ عُثْمَانَ أَمَرَ الْكُتَّابَ أَنْ يَقْتَصِرُوا عَلَى حَرْفٍ وَاحِدٍ وَيُلْغُوا السِّتَّةَ الْبَاقِيَةَ.

ثالثا: لَا يُصَدِّقُ مُؤْمِنٌ يَعْرِفُ لِلصَّحَابَةِ قَدْرَهُمْ فِي قُوَّةِ دِينِهِمْ، وَتَقْدِيسِهِمْ كِتَابَ رَبِّهِمْ، وَاعْتِقَادِهِمْ أَنَّ فِيهِ سَعَادَتَهُمُ الدُّنْيَوِيَّةَ وَالأُخْرَوِيَّةَ. أَقُولُ: لَا يَدُورُ بِخَلَدِ مُؤْمِنٍ أَنَّ هَؤُلَاءِ الصَّحَابَةِ وَهُمْ كَثْرَةٌ كَاثِرَةٌ - وَكَانُوا وَقْتَئِذٍ اثْنَي عَشَرَ أَلْفًا أَوْ يَزِيدُونَ - يُقِرُّونَ عُثْمَانَ عَلَى إِلْغَاءِ مَا تَوَاتَرَتْ قُرْآنِيَّتُهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَهْمَا كَانَتِ الْبَوَاعِثُ عَلَى ذَلِكَ.

عَلَى أَنَّ جَمْعَ كَلِمَةِ الْمُسْلِمِينَ وَلَمَّ شَعْثِهِمْ، وَاسْتِئْصَالَ بُذُورِ الشِّقَاقِ مِنْ قُلُوبِهِمْ لَا يَحْمِلُ عُثْمَانَ ﷺ عَلَى إِبْطَالِ شَيْءٍ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ؛ بَلْ عَلَيْهِ - وَالْحَالَةُ هَذِهِ - أَنْ يَأْمُرَ بِكِتَابَةِ مَا ثَبَتَتْ قُرْآنِيَّتُهُ بِالتَّوَاتُرِ مِنَ الأَحْرُفِ السَّبْعَةِ، وَاسْتَقَرَّ فِي الْعَرْضَةِ الأَخِيرَةِ، وَأَنْ يُلْزِمَ الأُمَّةَ بِالْوُقُوفِ عِنْدَ هَذَا الْمُتَوَاتِرِ، وَيُعْلِمَهُمْ بِأَنَّ مَا عَدَاهُ مِنَ الْوُجُوهِ الَّتِي نَزَلَتْ فِي ابْتِدَاءِ الأَمْرِ لِلتَّيْسِيرِ قَدْ نُسِخَتْ بِالْعَرْضَةِ الأَخِيرَةِ فَلَا تَجُوزُ الْقِرَاءَةُ بِهَا، وَلَا اعْتِقَادُ قُرْآنِيَّتِهَا، وَبِذَلِكَ تُقْمَعُ الْفِتْنَةُ، وَتُجْمَعُ الْكَلِمَةُ، وَتُوَحَّدُ الصُّفُوفُ، وَيُقْضَى عَلَى النِّزَاعِ، وَهَذَا هُوَ مَا قَامَ بِهِ عُثْمَانُ ﷺ، وَوَافَقَهُ عَلَيْهِ صَحَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

رابعا: لَوْ كَانَ صَحِيحًا مَا يَدَّعِيهِ أَصْحَابُ الرَّأْيِ الأَوَّلِ أَنَّ عُثْمَانَ أَمَرَ الْكُتَّابَ أَنْ يَقْتَصِرُوا عَلَى لُغَةِ قُرَيْشٍ وَيَتْرُكُوا مَا سِوَاهَا، لَكَانَ الْقُرْآنُ خَالِيًا مِنْ جَمِيعِ اللُّغَاتِ إِلَّا مِنْ لُغَةِ قُرَيْشٍ، وَهَذَا بَاطِلٌ فِي الْوَاقِعِ لِأَنَّ الْقُرْآنَ فِيهِ مِنَ الْكَلِمَاتِ الأُخْرَى غَيْرَ لُغَةِ قُرَيْشٍ مَا يَفُوقُ الْحَصْرَ، فَوُجُودُ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ فِي الْقُرْآنِ مِنْ أَوْضَحِ الْبَرَاهِينِ عَلَى أَنَّ الْمَصَاحِفَ لَمْ يُقْتَصَرْ فِيهَا عَلَى لُغَةِ قُرَيْشٍ؛ بَلْ كُتِبَ فِيهَا مِنَ الأَحْرُفِ السَّبْعَةِ مَا تَوَاتَرَ وَثَبَتَ فِي الْعَرْضَةِ الأَخِيرَةِ.

وهاك بعض الأمثلة لهذه الكلمات:

روى أبو عبيد عن الحسن قال: كنا لا ندري ما الأرائك، حتى لَقِيَنَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ، فَأَخْبَرَنَا أَنَّ الأَرِيكَةَ عِنْدَهُمُ الْحَجلة فِي السرير.

وعن الضحاك فِي قوله تعالى ﴿كلا لا وزر﴾ قال: لا حيل، وهي بلغة أهل اليمن أيضا.

وأخرج أبو بكر الأنباري عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿أفلم ييأس الذين آمنوا﴾ قال ابن عباس: أفلم يعلموا، وهي لغة هوازن.

وورد أن قوله تعالى ﴿لا يلتكم من أعمالكم شيئا﴾ لا ينقصكم، وهي لغة عبس، ... وهكذا.

خامسا: تناصرت الأدلة، وتظاهرت البراهين، على أن بين المصاحف العثمانية اختلافا فِي مواضع كثيرة؛ فَقَوْلُهُ تَعَالَى: (ووصى بها إبراهيم) فِي سورة البقرة، كتب فِي بعض المصاحف بواوين من غير ألف بينهما، وفِي بعض المصاحف بألف بين الواوين.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ فِي الشعراء، كتب بالواو فِي البعض، وبالفاء بدلها فِي البعض الآخر.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ﴾ فِي الزخرف، كُتِبَ فِي بَعْضِهَا بالهاء، وفي بعضها بغير هاء؛ هكذا "تشتهي".

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ فِي الحديد، كُتِبَ فِي بَعْضِهَا بإثبات لفظ (هو)، وفِي بعضها بحذفه، إلَى غير ذلك من الأمثلة الكثيرة.

فلو كانت المصاحف مكتوبة بلغة واحدة وهي لغة قريش لَم يكن هناك داع لِهذا الاختلاف.

وَقَدْ يُقَالُ: إِنَّ قَوْلَ عُثْمَانَ لِلرَّهْطِ الثَّلَاثَةِ الْقُرَشِيِّينَ: «إِذَا اخْتَلَفْتُمْ أَنْتُمْ وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ فِي شَيْءٍ مِنَ الْقُرْآنِ فَاكْتُبُوهُ بِلِسَانِ قُرَيْشٍ، فَإِنَّمَا نَزَلَ بِلِسَانِهِمْ» فَفَعَلُوا، يَدُلُّ لِأَصْحَابِ الرَّأْيِ الأَوَّلِ.

وَالْجَوَابُ عَنْ ذَلِكَ: أَنَّ عُثْمَانَ لَا يُرِيدُ مِنْ وَرَاءِ هَذِهِ الْمَقَالَةِ إِلَّا الِاخْتِلَافَ مِنْ حَيْثُ الرَّسْمِ وَالْكِتَابَةِ، لا مِنْ حَيْثُ جَوَاهِرِ الْأَلْفَاظِ وَالْكَلِمَاتِ، جَمْعًا بَيْنَ الأَدِلَّةِ، وَتَوْفِيقًا بَيْنَ الْبَرَاهِينِ، عَلَى أَنَّهُ لَم يَصِلْ إِلَيْنَا أَنَّهُمُ اخْتَلَفُوا إلا فِي لَفْظٍ وَاحِدٍ وَهُوَ "التَّابُوتُ" فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ﴾ هَلْ يُكْتَبُ بِالتَّاءِ أَمْ بِالْهَاءِ؟ فَرَجَعُوا إِلَى عُثْمَانَ فَأَمَرَهُمْ أَنْ يَكْتُبُوهُ بِالتَّاءِ لِأَنَّهُ يُكْتَبُ بِهَا فِي لُغَةِ قُرَيْشٍ.

وَقَدْ يَتَمَسَّكُ أَصْحَابُ الرَّأْيِ الأَوَّلُ أَيْضًا بِقَوْلِ عُثْمَانَ: "فَإِنَّمَا نَزَلَ بِلِسَانِهِمْ".

وَالْحَقُّ: أَنْ لا مُتَمَسَّكَ لَهُمْ بِهَذَا لِأَنَّ الْقُرْآنَ أُنْزِلَ بِلِسَانِ قُرَيْشٍ لِأَنَّهُمْ هُمُ الْمَقْصُودُونَ أَوَّلًا، ثُمَّ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَى الأُمَّةِ بِإِنْزَالِهِ بِاللُّغَاتِ الأُخْرَى لِيَسْهُلَ عَلَيْهِمْ تَرْتِيلُهُ بِغَيْرِ تَكَلُّفٍ يَشْغَلُ عَنْ تَدَبُّرِهِ.

أبو إياد العربي

كَيفَ أُرسِلتْ هَذِهِ المَصَاحِفُ إِلَى الأَمصَار ؟

إن نقل القرآن الكريم إنما يعتمد على التلقي من أفواه الشيوخ خلفا عن سلف، وثقة عن ثقة، وإماما عن إمام حتى يصلوا الى الحضرة النبوية.

ولذلك لما أراد عثمان إذاعة المصاحف وإرسالها إلى الأمصار لم يرسلها وحدها لتكون المرجع الوحيد بل أرسل مَعَ كل مصحف إماما عدلا ضابطا تكون قراءته موافقة لما في هذا المصحف غالباً.

فأمر زيد بن ثابت أن يقرئ بالمدني.

وبعث عبد الله بن السائب مَعَ المصحف المكي.

والمغيرة بن شهاب مَعَ الشامي.

وبعث عبد الرحمن السلمي مَعَ الكوفي.

وعامر بن عبد القيس مَعَ البصري.

ثُمَّ نَقَلَ التَّابِعُونَ عَنِ الصَّحَابَةِ، فَقَرَأَ أَهْلُ كُلِّ مِصْرٍ بِمَا يُوَافِقُ مُصْحَفَهُمْ تَلَقِّيًا عَنِ الصَّحَابَةِ الَّذِينَ تَلَقَّوْهُ مِنْ فِيهِ ﷺ، فَقَامَ التَّابِعُونَ فِي ذَلِكَ مَقَامَ الصَّحَابَةِ.

ثُمَّ تَفَرَّغَ جَمَاعَةٌ لِلْقِرَاءَةِ وَالإِقْرَاءِ، وَالتَّعْلِيمِ وَالتَّلْقِينِ، حَتَّى صَارُوا أَئِمَّةً يُقْتَدَى بِهِمْ، وَيُؤْخَذُ عَنْهُمْ، وَأَجْمَعَ أَهْلُ بَلَدِهِمْ عَلَى تَلَقِّي قِرَاءَتِهِمْ، وَاعْتِمَادِ رِوَايَتِهِمْ، وَمِنْ هُنَا نُسِبَتِ الْقِرَاءَةُ إِلَيْهِمْ.

وَأَجْمَعَتِ الأُمَّةُ – وَهِيَ مَعْصُومَةٌ مِنَ الْخَطَإِ فِي إِجْمَاعِهَا – عَلَى مَا فِي هَذِهِ الْمَصَاحِفِ.

وَعَلَى تَرْكِ مَا سِوَاهَا مِنْ زِيَادَةٍ وَنَقْصٍ، وَتَقْدِيمٍ وَتَأْخِيرٍ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، لِأَنَّهُ لَمْ يَثْبُتْ عِنْدَهُمْ ثُبُوتًا مُتَوَاتِرًا أَنَّهُ مِنَ الْقُرْآنِ.

مَوْقِفُ المُسْلِمِينَ إِزَاءَ تِلْكَ المَصَاحِفِ:

لما أمر عثمان ﷺ بنسخ المصاحف، وكتابتها على ما ثبت في العرضة الأخيرة وترك ما سوى ذلك وقف منه الصحابة جميعا موقف التأييد والتعضيد، واستجابوا لندائه فحرقوا مصاحفهم واجتمعوا على المصاحف العثمانية حتى ورد أن عبد الله بن مسعود أنكر باديء ذي بدء على عثمان لأنه آثر زيد بن ثابت في كتابة المصاحف على عبد الله، لما سبق من الأوصاف الموجبة لذلك، ولكنه لم يلبث أن رجع، وأقر ما عمله عثمان، واتفقت عليه كلمة الصحابة.

أخرج ابن أبي داود بسند صحيح عن علي ﷺ أنه قال: لا تقولوا في عثمان إلا خيرا فوالله ما فعل الذي فعل في المصاحف إلا عن ملإٍ منا.

قال: ما تقولون في هذه القراءة؟، فقد بلغني أن بعضهم يقول: (إن قراءتي خير من قراءتك)، وهذا يكاد يكون كفرا.

قلنا: ما ترى؟

قال: أرى أن يجمع الناس على مصحف واحد فلا تكون فرقة ولا اختلاف.

قلنا: فنعم ما رأيت. أهـ

وورد عن على أيضًا أنه قال: (لو كنت الوالي وقت عثمان، لفعلت في المصحف مثل الذي فعل عثمان).

أما أهل الأقاليم الذين أرسلت إليهم المصاحف فقد وقفوا منها موقف التقديس والاكبار لأنهم علموا أن كتابة هذه المصاحف لَم يكن عملا فرديا استقل به شخص ما، وإنما هو إجماع من أصحاب رسول الله ﷺ الذين مدحهم الرسول ﷺ وأثنى عليهم بما هم جديرون به، فقال: (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى عضوا عليها بالنواجذ).

وقال: (أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم).

وقال: (اقتدوا بالذين من بعدى: أبي بكر وعمر».

فلذلك وقفوا منها هذا الموقف المحمود، وتلقوها بالرضا والقبول، وجعلوها المصدر الوحيد يقتدون بها، ويحتكمون إليها.

مَا اشْتَهَرَ مِنَ الْمَصَاحِفِ فِي عَهْدِ الصَّحَابَةِ

اشتهر فِي عهد الصحابة مصاحف أخرى غير المصاحف العثمانية التي سبق الكلام عليها، بيد أن هذه المصاحف لَم تظفر بما ظفرت به المصاحف العثمانية من إجماع الصحابة عليها، ورضاهم بها، ووقوفهم عند ما تضمنته من الأوجه والقراءات، ولَم تحرز عند أهل الأقاليم والأمصار ما أحرزته المصاحف العثمانية من الثقة والقبول.

ذلك أن هذه المصاحف كانت مصاحف فردية خاصة كتبها بعض الصحابة لنفسه، ولَم يقتصر فِي كتابتها عَلى ما استقر فِي العرضة الأخيرة، بل كتب فيها ما كانت روايته آحادًا، وما نسخ تلاوته، وما لم يكن فِي العرضة الأخيرة، وخلط فيها بين ألفاظ القرآن وما كان شرحًا لَها، وبيانا لتأويلها.

وهذه المصاحف تختلف عن مصحف عثمان تارة بالزيادة، وأخرى بالنقص، ومرة بالتقدم، وأخرى بالتأخير، وهكذا.

واليك أنموذجا من هذه المصاحف:

١: مُصْحَفُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ

كتب فيه فِي سورة الفاتحة: «صِرَاطَ مَنْ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرَ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَغَيْرَ الضَّالِّينَ».

وفيه أيضًا أول سورة آل عمران: «الم اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيَّامُ».

وفيه فِي سورة المدثر: «فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ يَا فُلَانُ مَا سَلَكَكَ فِي سَقَرَ».

٢: مُصْحَفُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ

كتب فيه فِي سورة البقرة: «آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ وَآمَنَ الْمُؤْمِنُونَ».

٣: مُصْحَفُ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ.

كتب فيه فِي سورة البقرة: «حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَصَلَاةِ الْعَصْرِ».

وفِي رواية بحذف واو «وَصَلَاةِ الْعَصْرِ».

وفِي سورة الأحزاب: «إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ وَالَّذِينَ يُصَلُّونَ الصُّفُوفَ الْأُوَلَ».

٤: مُصْحَفُ حَفْصَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ.

كتب فيه: «حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَصَلَاةِ الْعَصْرِ».

٥: مُصْحَفُ أُمِّ سَلَمَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ.

وفيه ما فِي مصحف حفصة.

٦: مُصْحَفُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ

كتب فيه فِي سورة البقرة: «لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فِي مَوَاسِمِ الْحَجِّ».

وفيه أيضًا فِي سورة المائدة: «فَيُصْبِحُ الْفُسَّاقُ عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ».

وفيه فِي سورة آل عمران: «وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيَسْتَعِينُونَ بِاللَّهِ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ».

٧: مُصْحَفُ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ

كتب فيه فِي سورة البقرة: «فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ لَا يَطَّوَّفَ بِهِمَا».

وفيها أيضًا: «لِلَّذِينَ يُقْسِمُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ».

وفِي سورة النساء: «فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ إلى أجل مسمى».

وفِي سورة المائدة: «فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مُتَتَابِعَاتٍ».

٨: مُصْحَفُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ

كتب فيه فِي سورة البقرة: «فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ لَا يَطَّوَّفَ بِهِمَا».

وفيه: «لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فِي مَوَاسِمِ الْحَجِّ».

وفِي آل عمران: «إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُكُمْ أَوْلِيَاءَهُ».

وفيه فِي البقرة: «وَأَقِيمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلْبَيْتِ».

وفِي آل عمران: «وَشَاوِرْهُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ».

وفِي البقرة: «وَإِنْ عَزَمُوا السَّرَاحَ».

وَفِي الحج: «وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ مُحَدَّثٍ».

وفِي الأعراف: «كَأَنَّكَ حَفِيٌّ بِهَا».

وفِي آل عمران: «وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ وَيَقُولُ الرَّاسِخُونَ آمَنَّا بِهِ».

وفِي البقرة: «فَإِنْ آمَنُوا بِمَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا».

وفيها: «حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَصَلَاةِ الْعَصْرِ».

وفِي النساء: «فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ إلى أجل مسمى».

وفيها: «فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ كَانَتْ أُحِلَّتْ لَهُمْ».

وفِي سورة النصر: «إِذَا جَاءَ فَتْحُ اللَّهِ وَالنَّصْرُ».

٩: مُصْحَفُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ

كتب فِي سورة البقرة: «اهْبِطُوا مِصْرَ» بدون ألِفٍ.

و«وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ يَقُولَانِ رَبَّنَا»، و «فَلَا رَفُوثٌ وَلَا فُسُوقٌ وَلَا جِدَالٌ فِي الْحَجِّ»، و «وَتَزَوَّدُوا وَخَيْرُ الزَّادِ التَّقْوَى» و «وَأَقِيمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلْبَيْتِ».

وَفِي آل عمران: «الْحَيُّ الْقَيَّامُ»، و «وَإِنْ حَقِيقَةُ تَأْوِيلِهِ إِلَّا عِنْدَ اللَّهِ»، و «وَنَادَاهُ الْمَلَائِكَةُ يَا زَكَرِيَّا إِنَّ اللَّهَ»، و «وَقَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ لَيُبَشِّرُكِ».

وفِي النساء: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ نَمْلَةٍ».

أبو البار العراقي

وفي المائدة: «إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَعِبَادُكَ».

وفي الأنعام: «كَالَّذِي اسْتَهْوَاهُ الشَّيْطَانُ»، و «لَقَدْ تَقَطَّعَ مَا بَيْنَكُمْ».

وفي الأعراف: «قَالُوا رَبَّنَا إِلَّا تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا».

وفي الأنفال: «وَلَا يَحْسَبُ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا».

وفي التوبة: «قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ وَرَحْمَةٍ لَكُمْ».

وفي يونس: «حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِكُمْ».

وفي هود: «وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ وَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ».

و (فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ إِلَّا امْرَأَتَكَ) بِغَيْرِ: «وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ».

وفي الرعد: «وَسَيَعْلَمُ الْكَافِرُونَ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ».

وفي النحل: «الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ».

وفي الإسراء: «سَبَّحَتْ لَهُ الْأَرْضُ وَسَبَّحَتْ لَهُ السَّمَوَاتُ».

وفي الكهف: «لَكِنْ هُوَ اللَّهُ رَبِّي».

وفي مريم: «ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَالَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ»؛ «تَكَادُ السَّمَوَاتُ لَتَتَصَدَّعُ مِنْهُ».

وفي طه: «قَدْ نَجَّيْتُكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ».

وفي الحج: «أُذِنَ لِلَّذِينَ قَاتَلُوا بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا».

وفي النور: «سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَّضْنَا لَكُمْ».

وفي الفرقان: «وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ».

وفي الشعراء: «وَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ».

وفي النمل: «فَيَمْكُثُ غَيْرَ بَعِيدٍ».

وفي القصص: «وَعُمِّيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ».

وفي السجدة: «فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا يُخْفَى لَهُمْ».

وفي سبأ: «يَقْذِفُ بِالْحَقِّ وَهُوَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ».

وفي يس: «فِي ظُلَلٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئِينَ»، «فِي شُغُلٍ فَكِهِينَ»، «سَلَامًا قَوْلًا مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ».

وفي الزخرف: «مَا شُهِدَ خَلْقُهُمْ».

وفي الشريعة: «وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا».

وفي الحجرات: «لِتَعَارَفُوا وَخِيَارُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ».

وفي القمر: «خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ».

وفي نوح: «يَغُوثًا وَيَعُوقًا» بِالتَّنْوِينِ فِيهِمَا.

أبو إياد الغرباوي

نَسْخُ المَصَاحِفِ فِي عَهْدِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ وَمَا أُحْدِثَ بِهَا مِنْ نَقْطٍ وَشَكْلٍ وَتَجْزِئَةٍ.

بَيَّنَّا فِي الْكَلَامِ عَلَى جَمْعِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي عَهْدِ عُثْمَانَ ﷺ أَنَّهُ كَتَبَ الْمَصَاحِفَ وَوَجَّهَهَا إِلَى الأَقْطَارِ الإِسْلَامِيَّةِ، وَذَكَرْنَا أَنَّ هَذِهِ الْمَصَاحِفَ كَانَتْ مُشْتَمِلَةً عَلَى مَا يَحْتَمِلُهُ رَسْمُهَا مِنَ الأَحْرُفِ السَّبْعَةِ، وَكَانَتْ مُجَرَّدَةً مِنَ النَّقْطِ وَالشَّكْلِ لِتَكُونَ مُحْتَمِلَةً لِمَا تَوَاتَرَتْ قُرْآنِيَّتُهُ مِنْ هَذِهِ الأَحْرُفِ السَّبْعَةِ، وَاسْتَقَرَّ فِي الْعَرْضَةِ الأَخِيرَةِ، وَلَمْ تُنْسَخْ تِلَاوَتُهُ.

وَلَمَّا أُرْسِلَتْ هَذِهِ الصُّحُفُ إِلَى آفَاقِ الإِسْلَامِ قُوبِلَتْ مِنْ أَهْلِهَا بِمَا هِيَ جَدِيرَةٌ بِهِ مِنَ الإِقْبَالِ عَلَيْهَا وَرِضِيَ الْجَمِيعُ عَنْهَا، فَنَسَخُوا غِرَارَهَا مَصَاحِفَ كَثِيرَةً كَانَ لَهَا مَا لِتِلْكَ مِنَ الْقُدْسِيَّةِ وَالتَّبْجِيلِ، وَكَانَتْ كَسَابِقَتِهَا خَالِيَةً مِنَ النَّقْطِ وَالشَّكْلِ لِمَا تَقَدَّمَ أَيْضًا.

ظَلَّتْ هَذِهِ الْمَصَاحِفُ هَكَذَا حِقْبَةً مِنَ الزَّمَنِ، إِلَى أَنْ كَثُرَتِ الْفُتُوحَاتُ الإِسْلَامِيَّةُ، وَانْضَوَى تَحْتَ رَايَةِ الإِسْلَامِ كَثِيرٌ مِنْ بِلَادِ الأَعَاجِمِ، فَاخْتَلَطَ اللِّسَانُ الأَعْجَمِيُّ بِاللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ، وَفَشَا اللَّحْنُ عَلَى الأَلْسِنَةِ، وَكَادَتْ الْعُجْمَةُ تَطْغَى عَلَى الْفُصْحَى، وَكَانَ هَؤُلَاءِ الأَعَاجِمُ يَعْسُرُ عَلَيْهِمُ التَّمْيِيزُ بَيْنَ حُرُوفِ الْقُرْآنِ وَكَلِمَاتِهِ؛ لِأَنَّهَا - كَمَا عَرَفْتَ - غَيْرُ مَنْقُوطَةٍ وَلَا مَشْكُولَةٍ، فَخَشِيَ أُمَرَاءُ الْمُؤْمِنِينَ وَوُلَاتُهُمْ أَنْ يُفْضِيَ ذَلِكَ إِلَى اللَّحْنِ فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى، وَتَحْرِيفِ كَلِمِهِ عَنْ مَوَاضِعِهِ، فَعَمِلُوا عَلَى تَلَافِي ذَلِكَ وَإِزَالَةِ أَسْبَابِهِ، وَأَحْدَثُوا مِنَ الْوَسَائِلِ مَا يَكْفُلُ صِيَانَةَ الْكِتَابِ الْعَزِيزِ مِنَ اللَّحْنِ، وَحِفْظَهُ مِنَ التَّصْحِيفِ، وَهَاكَ بَيَانُهَا:

أبو إياد العرباوي

النَّقْطُ وَالشَّكْلُ

النقط: له معنيان:

الْمَعْنَى الأَوَّلُ: مَا يَدُلُّ عَلَى مَا يَعْرِضُ لِلْحَرْفِ مِنْ حَرَكَةٍ أَوْ سُكُونٍ أَوْ شَدٍّ أَوْ مَدٍّ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ وَيُسَمِّي بَعْضُهُمْ هَذَا النَّقْطَ: **نَقْطَ الإِعْرَابِ**.

الْمَعْنَى الثَّانِي: مَا يَدُلُّ عَلَى ذَوَاتِ الْحُرُوفِ، وَيُمَيِّزُ بَيْنَ مُعْجَمِهَا وَمُهْمَلِهَا، كَالْمَوْضُوعِ عَلَى الْبَاءِ وَالتَّاءِ وَالثَّاءِ وَالْجِيمِ وَالذَّالِ وَهَلُمَّ جَرًّا.

فَالنُّقْطَةُ عَلَى الْبَاءِ قَدْ مَيَّزَتْهَا عَمَّا يُشَارِكُهَا فِي رَسْمِهَا مِنَ التَّاءِ وَالثَّاءِ، وَالنُّقْطَةُ الَّتِي عَلَى الْجِيمِ قَدْ مَيَّزَتْهَا عَنِ الْحَاءِ وَهَكَذَا، وَيُسَمِّي بَعْضُهُمْ هَذَا النَّقْطَ: نَقْطَ الإِعْجَامِ.

الشكل:

مَعْنَاهُ يَدُلُّ عَلَى مَا يَعْرِضُ لِلْحَرْفِ مِنْ حَرَكَةٍ أَوْ سُكُونٍ أَوْ شَدٍّ أَوْ مَدٍّ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ، وَيُرَادِفُهُ الضَّبْطُ.

وَعَلَى هَذَا يَكُونُ الْمَعْنَى الأَوَّلُ لِلنَّقْطِ مُسَاوِيًا لِمَعْنَى الشَّكْلِ وَالضَّبْطِ.

وَقَدِ اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ اخْتِلافًا كَثِيرًا فِي تَعْيِينِ أَوَّلِ مَنْ أَحْدَثَ النَّقْطَ بِمَعْنَيَيْهِ؟ وَهَلِ الْمُحْدِثُ لَهُ بِكِلا مَعْنَيَيْهِ وَاحِدٌ؟، أَمِ الْمُحْدِثُ لَهُ بِأَحَدِ مَعْنَيَيْهِ غَيْرُ الْمُحْدِثِ لَهُ بِالْمَعْنَى الآخَرِ؟ وَأَيُّ الْمَعْنَيَيْنِ سَابِقٌ عَلَى صَاحِبِهِ؟!

وَالَّذِي جَنَحَ إِلَيْهِ الْمُحَقِّقُونَ مِنَ الْعُلَمَاءِ:

أَنَّ الْمُخْتَرِعَ الأَوَّلَ لِلنَّقْطِ بِمَعْنَاهُ الأَوَّلِ وَهُوَ نَقْطُ الإِعْرَابِ: أَبُو الأَسْوَدِ الدُّؤَلِيُّ.

وذلك أن أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان كتب إِلَى زياد بن أبيه – وكان زياد واليا على البصرة من قِبَلِ معاوية – يطلب عبيد الله بن زياد ، فلما قدم عليه كلمه معاوية فوجده يلحن، فرده إلى أبيه، وكتب له كتابا يلومه فيه على وقوع ابنه في اللحن، فبعث زياد إِلَى أبي الأسود؛ وقال له: إن هؤلاء الأعاجم قد أفسدوا لغة العرب فلو وضعت شيئًا يصلح الناس به كلامهم ويعربون به كلام الله تعالى، فأبى ذلك أبو الأسود لأمر ما، فأمر زيادٌ رجلاً أن يجلس في طريق أبي الأسود وقال له: إذا مرَّ بك أبو الأسود فاقرأ شيئًا من القرآن وتعمد اللحن فيه، فلما مر أبو الأسود قرأ قوله تعالى: ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ بجر اللام من لفظ (وَرَسُولِهُ) فاستعظم ذلك أبو الأسود وقال: عزَّ وجهُ الله أن يتبرَّأ من رسوله.

ثُمَّ رجع إلى زياد وقال له: قد أجبتك إلى ما طلبت ورأيت أن أبدأ بإعراب القرآن.

ثُمَّ اختار أبو الأسود رجلا من عبد القيس وقال له: خذ المصحف وصبغا يخالف لونه لون مداد المصحف فإذا فتحت شفتي فانقط واحدة فوق الحرف، وإذا ضممتها فاجعل النقطة إلى جانب الحرف – أي أمامه – وإذا كسرتهما فاجعل النقطة في أسفله، فإذا اتبعت شيئا من هذه الحركات غنة – أي تنوينا – فانقط نقطتين فبدأ بأول المصحف حتى أتى على آخره.

ويؤخذ من هذه القصة أن أول من اخترع النقط بمعناه الأول وهو نقط الإعراب المساوى للضبط والشكل هو أبو الأسود، وعنه أخذ العلماء، وتفننوا فيه، وأدخلوا عليه كثيرا من التعديلات وسيأتي.

أما النقط بمعناه الثاني وهو نقط الإعجام فقد اختلف في مخترعه الأول كذلك.

وأرجح الآراء في ذلك أنه : نصر بن عاصم، ويحيى بن يعمر.

وذلك أنه لما كثر الداخلون في الإسلام من الأعاجم كثر التصحيف في لغة العرب، وانتشر على كثير من الأفواه، فخيف على القرآن أن تمتد إليه يد هذا العبث فأمر أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان الحجاج بن يوسف – وكان واليا من قِبَلِهِ على العراق – أن يعمل جاهدا على إبعاد أسباب التحريف عن ساحة القرآن.

فندب الحجاج للقيام بهذه المهمة: نصر بن عاصم ويحيى بن يعمر، وكانا من علماء الإسلام، المبرزين في اللغة العربية وأسرارها، وفنون القراءات وتوجيهها، فلَم يجدا بدا من إجابة ما ندبهما إليه الحجاج لِمَا في ذلك من المصلحة العامة، والمحافظة على كتاب الله تعالى، ثُمَّ أخذا في التنفيذ، فوضعا هذا النوع من النقط لتمييز الحروف بعضها عن بعض ليضمن بذلك سلامة القرآن من اللحن والتصحيف، وكان هذا النقط بلون مداد المصحف حتى يتميز عن النقط الذي وضعه أبو الأسود.

ويؤخذ من هذه القصة وما قبلها :

أن النقط بمعناه الأول سابق في الوجود عليه بمعناه الثاني ضرورة تقدم زمن زياد على زمن الحجاج.

وأن المخترع له بمعناه الأول غير المخترع له بمعناه الثاني.

ثم في عصر الدولة العباسية ظهر إمام النحو الخليل بن أحمد البصري، فأخذ نقط أبي الأسود وحور فيه وجعله على هذا النمط المستعمل الآن.

فجعل الضمة واوا صغيرة تكتب فوق الحرف، والفتحة ألفا صغيرة مبطوحة، والكسرة ياء.

ثم وضع علامة للشدة رأس الشين، وللسكون رأس خاء.

وعلامة للمد، وأخرى للروم والإشمام، وهكذا.

ثُم إن هذه العلامات دخل عليها شيئا من الاختزال والتحسين حتى آلت إلى ما هي عليه الآن.

والخلاصة: أن أول ما أحدث في المصحف هو:

نقط الإعراب: الذى وضعه أبو الأسود الدؤلى.

ثُمَّ نقط الإعجام: الذى وضعه (نصر بن عاصم ويحيى بن يعمر).

ثُمَّ الشكل: الذى اخترعه الخليل بن أحمد ليكون عوضًا عن نقط الإعراب.

وقد يعكر على هذا ما رواه الداني عن يحيى بن كثير أنه قال: ((كان القرآن مجرداً في المصاحف، فأول ما أحدثوا فيه النُّقَط على الباء والتاء، وقالوا: لا بأس به هو نور له، ثم أحدثوا فيها نُقَطاً عند منتهى الآي، ثم أحدثوا الفواتح والخواتم)) فإن هذا الأثر يفيد أسبقية نقط الإعجام على نقط الإعراب.

والجواب عن ذلك: أن معنى قولهم (فأول ما أحدثوا فيه النُّقَط) إلخ أن النقط على الباء والتاء والثاء هو أول ما أحدث بالمصحف من هذا النوع وهو نقط الإعجام.

فتكون هذه الحروف الثلاثة هي أول ما نقط من الحروف المعجمة ثُمَّ تَمَّمُوا فنقطوا باقيها.

ويتعين حمل هذا الأثر على هذا المعنى جمعا بينه وبين ما استفيض استفاضة كادت تبلغ حد التواتر أن أول من أحدث النقط هو أبو الأسود، وأن نقطه كان نقط إعراب. ولقد كان لهذا العمل المجيد – وهو نقط المصحف وشكله – أحسن الأثر، وأجل النفع في حفظ كيان الكتاب الحكيم، ووقايته من كل تشويه.

تجزئة المصحف:

كما كانت المصاحف العثمانية خالية من النقط والشكل كانت خالية من التجزئة أيضا.

ثم قامت طائفة فقسمت القرآن ثلاثين قسماً، وأطلقت على كل قسم منها اسم الجزء وقسمت هذا الجزء إلى حزبين، وقسمت الحزب إلى أربع أجزاء، وأطلقت على كل جزء منها اسم الربع، وكل ذلك معروف لا يكاد يجهله أحد.

ومن كتاب المصاحف في الصدر الأول من كان يضع ثلاث نقط عند آخر كل فاصلة من فواصل الآيات إعلاما بانقضاء الآية، ويكتب لفظ خمس عند انقضاء خمس آيات من السورة، ولفظ عشر عند انقضاء عشر آيات منها، فإذا انقضت خمس أخرى أعاد كتابة لفظ خمس، فإذا صارت عشرا أعاد كتابة لفظ عشر ولا يزال هكذا إلى آخر السورة.

ولهذا قال قتادة: (بدؤا فنقطوا، ثُمَّ خَمَّسوا، ثُمَّ عَشَّروا) ولعلك فهمت معنى (خَمَّسوا وعَشَّروا)

ومنهم من كان يضع مكان لفظ خمس رأس الخاء، ومكان لفظ عشرة العين، اختصارا.

ومنهم من كان يكتب اسم السورة وكونها مكية أو مدنية، ويكتب عدد آياتها في آخرها.

وقد اختلف العلماء في ذلك؟.

فأجازه قوم بكراهة، وآخرون بلا كراهة، وهذا هو الراجح لِمَا في ذلك من تشويق القارئ وتنشيطه على القراءة، والله تعالى أعلم.

هل يَجِبُ الْتِزَامُ الرَّسْمِ الْعُثْمَانِي فِي كِتَابَةِ الْمُصْحَفِ الشَّرِيفِ، أَمْ يَجُوزُ أَنْ يُكْتَبَ حَسْبَ الْقَوَاعِدِ الْعَامَّةِ لِلإِمْلاءِ ؟

اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ عَلَى أَقْوَالٍ ثَلاثَةٍ:

القول الأول:

أَنَّهُ لَا يَجِبُ الْتِزَامُ الرَّسْمِ الْعُثْمَانِي؛ بَلْ تَجُوزُ كِتَابَةُ الْمُصْحَفِ حَسْبَ الْقَوَاعِدِ الإِمْلائِيَّةِ الْعَامَّةِ.

وَمِمَّنْ أَيَّدَ هَذَا الْقَوْلَ وَانْتَصَرَ لَهُ: ابْنُ خَلْدُون، وَالْقَاضِي أَبُو بَكْرٍ الْبَاقِلانِي فِي آخَرِينَ.

القول الثاني:

أَنَّهُ يَجِبُ كِتَابَةُ الْمُصْحَفِ لِعَامَّةِ النَّاسِ عَلَى الْقَوَاعِدِ الإِمْلائِيَّةِ الْمَعْرُوفَةِ لَهُمْ، وَلَا يَجُوزُ كِتَابَتُهُ لَهُمْ بِالرَّسْمِ الْعُثْمَانِي، وَمِمَّنْ جَنَحَ إِلَى هَذَا: صَاحِبُ الْبُرْهَانِ وَشَيْخُ الإِسْلامِ الْعِزُّ بْنُ عَبْدِ السَّلامِ.

القول الثالث:

أَنَّهُ يَجِبُ الْتِزَامُ الرَّسْمِ الْعُثْمَانِي فِي كِتَابَةِ الْمَصَاحِفِ.

وَإِلَى هَذَا ذَهَبَ جَمَاهِيرُ الْعُلَمَاءِ مِنَ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ.

أدلة القول الأول:

اسْتَدَلَّ أَصْحَابُ هَذَا الْقَوْلِ بِأَدِلَّةٍ ثَلاثَةٍ:

١- أَنَّ هَذِهِ الْخُطُوطَ وَالرُّسُومَ لَيْسَتْ إِلَّا عَلَامَاتٍ وَأَمَارَاتٍ، فَكُلُّ رَسْمٍ يَدُلُّ عَلَى الْكَلِمَةِ، وَيُفِيدُ وَجْهَ قِرَاءَتِهَا، فَهُوَ رَسْمٌ صَحِيحٌ، وَكَاتِبُهُ مُصِيبٌ.

٢- أَنَّ كِتَابَةَ الْمُصْحَفِ عَلَى الرَّسْمِ الْعُثْمَانِيِّ قَدْ تُوقِعُ النَّاسَ فِي الْحَيْرَةِ وَالالْتِبَاسِ، وَالْمَشَقَّةِ وَالْحَرَجِ، وَلَا تُمَكِّنُهُمْ مِنَ الْقِرَاءَةِ الصَّحِيحَةِ السَّلِيمَةِ فَيُحْرَمُونَ مِنَ الْحُصُولِ عَلَى الثَّوَابِ الْمَوْعُودِ بِهِ عَلَى تِلاوَةِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَرُبَّمَا يَتَعَرَّضُونَ لِلْعُقُوبَةِ وَالإِثْمِ إِذَا قَرَؤُوا قِرَاءَةً غَيْرَ صَحِيحَةٍ، فَيَنْبَغِي كِتَابَةُ الْمُصْحَفِ حَسْبَ قَوَاعِدِ الإِمْلاءِ الْحَدِيثَةِ تَيْسِيرًا عَلَى النَّاسِ، وَرَفْعًا لِلْحَرَجِ وَالْمَشَقَّةِ عَنْهُمْ، وَتَمْكِينًا لَهُمْ مِنَ الْقِرَاءَةِ الصَّحِيحَةِ حَتَّى يَحْصُلُوا عَلَى الأَجْرِ الْمَوْعُودِ بِهِ عَلَى تِلاوَةِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ.

٣- وَلَيْسَ فِي الْكِتَابِ الْعَزِيزِ، وَلَا السُّنَّةِ الْمُطَهَّرَةِ، وَلَا فِي إِجْمَاعِ الأُمَّةِ، وَلَا فِي قِيَاسٍ شَرْعِيٍّ، شَيْءٌ يُحَتِّمُ عَلَى مَنْ يُرِيدُ كِتَابَةَ مُصْحَفٍ أَنْ يَكْتُبَهُ بِرَسْمٍ مُعَيَّنٍ، وَكَيْفِيَّةٍ مَخْصُوصَةٍ، لِذَلِكَ لَمْ يُرْوَ عَنِ الرَّسُولِ الأَعْظَمِ أَنَّهُ أَمَرَ أَحَدًا مِنْ كُتَّابِ الْوَحْيِ حِينَ كِتَابَتِهِ أَنْ يَكْتُبَهُ بِرَسْمٍ خَاصٍّ، وَلَا نَهَى أَحَدًا عَنِ الْكِتَابَةِ بِهَيْئَةٍ مُعَيَّنَةٍ.

أدلة القول الثاني: واستدل أصحاب هذا القول بأن كتابة المصحف بالرسم العثماني يوقع الناس في المشقة والحرج ويفضي بهم إلى التغيير في كتاب الله تعالى بالزيادة فيه أو النقص منه.

قالوا: ومع هذا يجب الاحتفاظ بالرسم العثماني لأنه من آثار سلفنا فلا نتغاضى عنه بالكلية مراعاة لجهل الجهلاء بل يبقى في أيدي العارفين الذين لا يَخلو زمان من وجودهم في تشرف الزمان بهم.

وأما كتابته أي المصحف على ما أحدث الناس من الهجاء فقد جرى عليه أهل المشرق بناء على كونها أبعد من اللبس، وتحاماه أهل المغرب بناء على قول الإمام مالك وقد سئل: هل يكتب المصحف على ما أحدث الناس من الهجاء؟ فقال: لا؛ إلا على الكتبة الأولى.

قَالَ فِي الْبُرْهَانِ: قُلْتُ: وَكَانَ هَذَا فِي الصَّدْرِ الْأَوَّلِ وَالْعِلْمُ حَيٌّ غَضٌّ، وَأَمَّا الْآنَ فَقَدْ يُخْشَى الْإِلْبَاسُ، وَلِهَذَا قَالَ الشَّيْخُ عِزُّ الدِّينِ بْنُ عَبْدِ السَّلَامِ: لَا تَجُوزُ كِتَابَةُ الْمُصْحَفِ الآنَ عَلَى الرُّسُومِ الْأُوْلَى بِاصْطِلَاحِ الْأَئِمَّةِ لِئَلَّا يُوقِعَ فِي تَغْيِيرٍ مِنَ الْجُهَّالِ، وَلَكِنْ لَا يَنْبَغِي إِجْرَاءُ هَذَا عَلَى إِطْلَاقِهِ لِئَلَّا يُؤَدِّيَ إِلَى دُرُوسِ الْعِلْمِ، وَشَيْءٌ أَحْكَمَتْهُ الْقُدَمَاءُ لَا يُتْرَكُ مُرَاعَاتُهُ لِجَهْلِ الْجَاهِلِينَ، وَلَنْ تَخْلُوَ الْأَرْضُ مِنْ قَائِمٍ لِلَّهِ بِالْحُجَّةِ. اهـ.

أدلة القول الثالث:

استدل أصحاب هذا القول بأن النبي ﷺ كان له كتاب يكتبون الوحي، وقد كتبوا القرآن كله بهذا الرسم، وأقرهم الرسول على كتابته، وانتقل الرسول إلى الرفيق الأعلى وقد كتب القرآن على هذه الكيفية المخصوصة، لم يحدث فيها تغيير ولا تبديل، ثم تولى الخلافة بعده أبو بكر فكتب القرآن كله في الصحف على هذه الهيئة، ثم جاء عثمان فنسخ المصاحف العديدة من صحف أبي بكر وكتبها كلها على هذا الرسم أيضا، ووزعها على الأمصار لتكون إماما للمسلمين. ولَم ينكر أحد من الصحابة على أبي بكر ولا عثمان، بل ظفر كل منهما بإقرار جميع الصحابة لعملهما، ثُم جاء عصر التابعين، والأئمة وأتباع التابعين، والأئمة المجتهدين، ولم يثبت أن أحدا منهم حدثته نفسه بتغيير رسم المصاحف، وكتابتها برسم آخر يساير الرسم الْمُحدث، بل ظل هذا الرسم منظورا إليه بعين التقديس والإكبار في سائر العصور المختلفة والأزمان المتفاوتة.

مع أنه قد وجد في تلك العصور المختلفة أناس يقرءون القرآن ولا يحفظونه، وهم في الوقت نفسه لا يعرفون من الرسم إلا ما وضعت قواعده في عصر التأليف والتدوين، وشاع استعمالها بين الناس مما يبعث الأئمة على تغيير رسم المصحف بما تقتضيه به تلك القواعد.

وإذا كان هذا الرسم قد حظي بإقرار الرسول ﷺ وإجماع الصحابة واتفاق التابعين وأتباعهم والأئمة المجتهدن عليه فلا يجوز العدول عنه إلى غيره، خصوصا وأنه أحد الأركان التي تبنى عليها صحة القراءة.

واليك نصوص أئمة الدين وأعلام الإسلام في ذلك:

روى السخاوى أن مالك بن أنس إمام دار الهجرة سئل: أرأيت من استكتب مصحفا أرأيت أن يكتب على ما استحدثه الناس منه الهجاء اليوم؟

فقال: لا أرى ذلك، ولكن يكتب على الكتبة الأولى.

قال السخاوي: والذي ذهب إليه مالك هو الحق، إذ بقاء الحالة الأولى إلى أن تعلمها الطبقة الأخرى بعد الأخرى ولا شك أن هذا هو الأحرى إذ في خلاف ذلك تجهيل الناس بأولية ما في الطبقة الأولى.

وقال أبو عمرو الداني: لا مخالف لمالك من علماء هذه الأمة.

وقال الداني أيضا: سئل مالك عن الحروف في القرآن مثل الواو والياء والألف أترى أن يغير من المصحف إذا وجد فيه شيء من ذلك ؟ قال: لا .

قال أبو عمرو: يعني الواو والياء والألف الزائدات في الرسم المعدودات في اللفظ نحو (أذبحنه، بأييد، أولوا) وهكذا.

وقال الإمام أحمد بن حنبل: تحرم مخالفة خط مصحف عثمان في واو أو ألف أو ياء أو غير ذلك.

وقال صاحب المدخل: ويتعين على كاتب المصحف أن يترك ما أحدثه بعض الناس في هذا الزمان من نسخ المصحف على غير المرسوم الذي اجتمعت عليه الأمة.

وقال النيسابوري: وقال جماعة من الأئمة إن الواجبَ على القراء والعلماء وأهل الكتابة أن يتبعوا هذا الرسم في خَطِّ الْمُصْحَفِ فَإِنَّهُ رَسْمُ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ وَكَانَ أَمِينَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَكَاتِبَ وَحْيِهِ.

وقال البيهقي في شعب الإيمان: من كتب مصحفاً ينبغي أن يحافظ على الهجاء الذي كتبوا به تلك المصاحف ولا يخالفهم فيه ولا يغير مما كتبوه شيئا فإنهم كانوا أكثر علما وأصدق قلبا ولسانا وأعظم أمانة منا فلا ينبغي أن نظن بأنفسنا استدراكا عليه.

ونقل الإمام الجعبري وغيره: إجماع الأئمة الأربعة على وجوب اتباع رسم المصحف العثماني.

والذي تطمئن إليه النفس ويوحي به الدين، وتهدي إليه الأدلة هو القول الثالث لأمور:

أولا: أن ما أورده أصحاب هذا القول من نصوص علماء الإسلام ظاهر في وجوب التزام الرسم العثماني في كتابة المصاحف.

ثانيا: أن قواعد الإملاء والهجاء الحديثة عرضة للتغيير والتنقيح في كل عصر وفي كل جيل، وحيطتنا للكتاب العزيز وتقديسنا له يضطرنا إلى أن نجعله بمنأً من هذه التغييرات في رسمه وكتابته.

ثالثا: أن تغيير الرسم العثماني ربما يكون مدعاة إلى التغيير في جوهر الألفاظ والكلمات القرآنية، وفي ذلك ما فيه من الفتنة الكبرى والشر المتسطير، وسد الذرائع، مهما كانت بعيدة أصل من أصول الشريعة الإسلامية التي تبنى عليها الأحكام، وما كان موقف الأئمة من الرسم العثماني إلا بدافع هذا الأصل العظيم مبالغة في حفظ القرآن الكريم، وصيانة له من العبث.

رابعا: في هذا الرسم خصائص ومزايا كثيرة وقد تكفل علماء الرسم ببيانها فارجع إليها إن شئت.

وأما ما يتعلل به أصحاب الرأيين الأولين من أن كتابة المصاحف على الرسم العثماني توقع الناس في حيرة وارتباك... إلى آخر ما قالوا، فمردود بأن المصاحف في هذا العصر خصوصا المصحف الحكومي، قد ضبطت بالشكل التام وألفها الناس ومرنوا على القراءة فيها من غير حرج ومشقة.

ومن قرأ التعريف بالمصحف الأميرى الموضوع في ذيله يستطيع أن يقرأ في المصحف بغاية اليسر والسهولة.

وبناءً على هذا:

يَجِبُ عَلَى كَاتِبِ الْمُصْحَفِ وَنَاشِرِهِ:

أن يتحرى كتابته على قواعد الرسم العثماني، ولا يخل بشيء منها بزيادة أو نقص أو إثبات أو حذف صيانة للقرآن الكريم من عبث العابثين، واقتداءً بالصحابة والتابعين، والأئمة المجتهدين، وأعلام الإسلام في سائر الأعصار والأمصار، لا فرق في ذلك بين المصاحف الكاملة والصحف الصغيرة (الأجزاء) التي يتعلم فيها الصغار ومن في حكمهم من الكبار، ليتمرنوا على قواعد هذا الرسم منذ نعومة أظفارهم.

وعلى معلمي القرآن حيثما كانوا ألا يدخروا وسعًا في تعليم أبنائهم تلك القواعد من الصغر، حتى يشبوا وقد وقفوا عليها، وأحاطوا بها خبرا، وأصبحت القراءة في المصحف سجية لهم، وميسورة عليهم.

وَيَجِبُ عَلَى كَاتِبِ الْمُصْحَفِ أَيْضًا:

أن يرسم الكلمات رسما يوافق الرواية التي يكتب المصحف عليها ولو احتمالاً.

فيرسم (وسارعوا) بإثبات الواو إذا كان يكتب على رواية حفص مثلاً، ويرسم (مالك يوم الدين) على رواية حفص أيضًا بحذف الألف لأن رسمه كذلك يوافق رواية حفص احتمالاً.

فيمتنع رسم الكلمات بما لا يوافق الرواية لا صراحة ولا احتمالاً؛ فتأمل!

ويستحب من كَاتِبِ الْمُصْحَفِ ومن ناشره:

أن يجتهد في تحسين كتابته وإيضاحها، وتبيين حروفه وتجويدها وأن يكتبه في حجم كبير احترامًا للقرآن الكريم، وتعظيما لشأنه ولذلك ورد أن عمر بن الخطاب وجد مع رجل مصحفًا قد كتبه بخط دقيق فَكَرِهَ ذلك عمر بن الخطاب وضرب الرجل وقال له: عظموا كتاب الله).

وتجوز: كتابة المصحف بالذهب وقد استحسن هذا الإمام الغزالي؛ ولكن ورد عن ابن عباس وأبي ذرٍّ وأبي الدرداء أنهم كرهوا ذلك، وقد مرَّ على ابن مسعود رجلٌ يحمل مصحفًا قد زيِّن بالذهب، فقال ابن مسعود: إن أحسن ما زين به المصحف تلاوة بالحق.

ويجوز: نقط المصحف وشكله، وقد كرهه جماعة من السلف.

وروى عن الإمام مالك: أنه أباح نقط المصحف وشكله في مصاحف الصغار ومن في حكمهم من الكبار، ومنع ذلك في الأمهات، أي المصاحف الكاملة.

وعن الحسن وابن سيرين أنهما قالا: لا بأس بنقط المصحف.

وعن ربيعة بن أبي عبد الرحمن أنه قال: لا بأس بشكل المصحف.

وقال الإمام النووي: نقط المصحف وشكله مستحب لأن ذلك صيانة له من اللحن والتحريف.

وقال الإمام الداني فِي كتاب النقط: ((والناس فِي جميع أمصار الْمُسْلمين من لدن التابعين إِلَى وقتنا هذا على الترخّص فِي ذلك – أى فِي نقط الْمُصْحف وشكله – فِي الأمهات وغيرها، ولا يرون بأسا برسم فاتح السور، وعدد آيها، ورسم الْخُمُوس، والعشور فِي مواضعها)).

والخطأ مرتفع عن إجماعهم.

والذى أراه: أن نقط المصحف وشكله شكلا كاملا واجبٌ فِي هذا الزمن لتيسير قراءة القرآن على سائر الناس، وللمبالغة فِي صيانته من اللحن والتحريف.

وتجوز: كتابة أسماء السور فِي ابتداء كل سورة وعدد آيها، وبيان كون السورة مكية أو مدنية من غير تعرض لذكر المستثنيات لعدم الاتفاق عليها.

وتجوز: كتابة علامات الأجزاء، والأحزاب، والأرباع، والسجدات، وعلامات الوقف، وأرقام الآيات، وعلامات فواتح السور وخواتيمها.

وقد كره ذلك كله جماعة من السلف لقول ابن مسعود: جردوا القرآن ولا تخلطوا به ما ليس منه.

والذى أراه: أن ذلك كله لا بأس به وإليه جنح جماهير العلماء من السلف والخلف كما تقدم عن الداني.

وَيَجُوزُ تَحْلِيَتُهُ بِالْفِضَّةِ إِكْرَامًا لَهُ عَلَى الصَّحِيحِ، فَقَدْ أَخْرَجَ الْبَيْهَقِيُّ عَنِ الْوَلِيدِ بْنِ مُسْلِمٍ قَالَ: سَأَلْتُ مَالِكًا عَنْ تَفْضِيضِ الْمَصَاحِفِ؟ فَأَخْرَجَ إِلَيْنَا مُصْحَفًا فَقَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ جَدِّي أَنَّهُمْ جَمَعُوا الْقُرْآنَ فِي عَهْدِ عُثْمَانَ، وَأَنَّهُمْ فَضَّضُوا الْمَصَاحِفَ، عَلَى هَذَا أَوْ نَحْوِهِ وَأَمَّا بِالذَّهَبِ فَالْأَصَحُّ جَوَازُهُ لِلْمَرْأَةِ دُونَ الرَّجُلِ، وَخَصَّ بَعْضُهُمُ الْجَوَازَ بِنَفْسِ الْمُصْحَفِ، دُونَ غُلَافِهِ الْمُنْفَصِلِ عَنْهُ وَالْأَظْهَرُ التَّسْوِيَةُ (من الإتقان للسيوطى).

حَالَةُ المَصَاحِفِ فِي دُورِ الطِّبَاعَةِ

لَمَّا أنشأت الْمَطابع فِي مصر وغيرها من البلاد الشرقية كان جُلُّ عنايتها بالمصحف الكريم، وكانت تتسابق فِي إبرازه فِي أحسن صورة، وأكرم منظر، وأجمل تنسيق، وذلك على أشكالٍ شتَّى، وألوانٍ متنوعة، وحجومٍ مُختلفةٍ، غير أن هذه الْمَطابع - على كثرتِهَا واختلافها وعنايتها الفائقة بطبع الْمُصحف - ما كانت تراعي فِي طبعه قواعد الرسم العثمانِي التِي كتب عليها فِي عهد عثمان ﷺ وفِي عهد الصحابة والتابعين، والأئمة المجتهدين، تلك القواعد التي تلقاها الخلف عن السلف بالرضى والتسليم لِما وقفوا عليه من مزاياها وأسرارها، بل كانت تعتمد فِي رسمه على قواعد الإملاء الْمُحدثة اللهم إلا في النذر اليسير من الكلمات كانت تكتبه على قواعد الرسم العثماني.

ظلت المصاحف هكذا زمنا غير قصير حتى قيض الله لها علما من أعلام القرآن فرجع بها إلى قواعد الرسم العثماني وهو الأستاذ المحقق (رضوان بن محمد الشهير بالمخللاتي) صاحب المؤلفات المفيدة الجامعة، فكتب مصحفا جليل الشأن، عظيم الخطر، عنى فيه بكتابة الكلمات على قواعد الرسم العثماني، كما عنى فيه ببيان عدد آي كل سورة فِي أولهَا، على مذاهب علماء العدد المشهورين، واضعا على رأس الفاصلة المختلف فيها اسم من يعدها، ثم بين أماكن الوقوف، وقسم الوقف إلى ستة أقسام: كاف، حسن، جائز، صالح، مفهوم، تام، مشيرا إلى الكافي بالكاف، والحسن بالحاء، والجائز بالجيم، والصالح بالصاد، والمفهوم بالميم، والتام بالتاء.

وقد صدر هذا المصحف بمقدمة جليلة ابان فيها أن هذا المصحف حرر رسمه وضبطه على ما في كتاب المقنع للإمام الداني، وكتاب التنزيل لأبي داود، ولخص فيها تاريخ كتابة القرآن في العهد النبوي. وجمعه في عهدي أبي بكر وعثمان رضي الله عنهما، كما لخص مباحث الرسم والضبط في جمل وجيزة مفيدة، ثم انتقل إلى بيان علماء العدد المشهورين، وإلى تعريف معنى السورة والآية، كل ذلك في عبارة سهلة، وتركيب بديع.

وقد طبع هذا المصحف فِي الْمطبعة البهية لصاحبها الشيخ مُحمد أبِي زيد، سنة ثمان وثلاثمائة وألف هجرية ١٣٠٨ هـــ ، وكان هذا المصحف هو المتداول بين أهل العلم والقراء، والمعول عليه عندهم، المقدم دون سائر المصاحف، لما اشتمل عليه من المزايا السابقة، بيد أنه لَم يبرز فِي صورة حسنة تروق الناظر، وتنشط القارئ، لرداءة ورقه، وسوء طبعه، إذ أنه طبع في مطبعة حجرية.

ثم كان من حسنات المغفور له (الملك فؤاد الأول) وأعماله المبرورة المشكورة أن أمر بطبع المصحف على نفقته الخاصة، وبالعناية الفائقة به، فَكُوِّنَتْ لَجنة من أساطين العلم، وعلى رأسهم العلامة الشيخ (مُحَمَّد على خلف الْحُسَيْنِي الْحَدَاد) شيخ المقارئ المصرية السابق، للاضطلاع بِهَذِهِ الْمُهمة الْخَطيرة الشاقة.

فقاموا – أحسن الله إليهم جزاءهم – بما أسند إليهم على أتم وجه وأكمله؛ فكتبوا القرآن كله حسب قواعد الرسم العثماني، وضبطوه الضبط التام على ما ذهب إليه المحققون من العلماء، وبينوا في ترجمة كل سورة عدد آياتها، وأنها مكية أو مدنية، وأنها نزلت بعد سورة كذا...

ووضعوا لكل آية رقمها الخاص بها.

كما وضعوا علامات للوقوف، والأجزاء، والأحزاب، والأرباع، والسجدات.

ثم قسموا الوقف إلى خمسة أجزاء أقسام:

الأول: ما يلزم الوقف عليه ولا يصح وصله بما بعده، ووضعوا له علامة هي الميم المفردة هكذا: (م).

الثاني: ما يصح الوقف عليه والابتداء بما بعده كما يصح وصله بما بعده غير أن الوقف عليه أرجح من وصله بما بعده، وقد وضعوا لهذا القسم هذه العلامة: (قلى)، وهي كلمة منحوته، وأصلها: الوقف أولى.

الثالث: كالثاني غير أن وصله أرجح من الوقف عليه، وقد وضعوا له هذه العلامة: (صلى)، وهي كلمة منحوته أيضا، وأصلها: الوصل أولى.

الرابع: ما يَجوز فيه الوقف والوصل على السواء من غير ترجيح لأحدهما على الآخر، ووضعوا لِهذا القسم هذه العلامة (ج).

الخامس: ما لا يصح الوقف عليه والابتداء بما بعده، فإذا وقف عليه لانقطاع نفس، أو استراحة أو نحو ذلك، تعين عليه أن يرجع فيصله بما بعده، ووضعوا لهذا القسم هذه العلامة: (لا).

والناظر في المصحف المذكور يعرف الأمثلة الكثيرة لهذه الأقسام الخمسة.

وإننا – مع تقديرنا لهذه اللجنة، وتقديسنا لعملهم، واعتقادنا أنها بذلت من الجهود فِي طبع هذا المصحف، وإبرازه فِي هذه الصورة الشَّيِّقَةِ ما تُحمد عليه، ويُعَدُّ مِنْ مَآثِرِهَا الْخَالِدَةِ وَأَعْمَالِهَا الْجَلِيلَةِ الْمَجِيدَةِ – نلاحظ ما يلي:

(١): رَسْمَ بَعْضِ الكلمات بِما يُخالفُ مصاحفَ أهلِ العراق التِي عليها رواية حفص وما يُخالف قواعد الرسم العامة.

منها: لفظ (كلمة) من قوله تعالى فِي سورة الأعراف ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى﴾ فقد كتب فِي المصحف بتاء مربوطة، وحقُّهُ أن يكتب بتاء مفتوحة؛ لأنه كذلك فِي المصاحف العراقية، ومن أجل ذلك أجمعت الطرق عن حفصٍ على الوقف على هذا اللفظ بالتاء.

ومنها: لفظ (للطاغين) من قوله تعالى فِي سورة ص ﴿هَٰذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ﴾ (ص: ٥٥) ومن قوله تعالى فِي سورة النبإ ﴿لِلطَّاغِينَ مَآبًا﴾ (النبأ: ٢٢) كتبت بالألف فيهما، وحقه أن يكتب بحذفها هكذا (للطغين) لأنه الذى عليه العمل عند علماء الرسم، ولذا حذفت من قوله فِي سورة الصافات: (بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ) وقوله فِي سورة القلم (إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ).

ومنها: كلمة (قَائِمٌ) من قوله تعالى فِي سورة الرعد: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ كتبت الهمزة فيها فوق صورة الياء، وحقها أن تكتب تحتها كما هي القاعدة عند علماء الرسم، ولهذا كتبت تحتها فِي قوله تعالى فِي سورة آل عمران: ﴿وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ﴾.

ومنها: لفظ (كلمة) فِي قوله تعالى فِي سورة يونس ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (يونس: ٩٦) كتبت فِي المصحف بتاء مفتوحة هكذا (كلمت) وحقه أن يكتب بتاء مربوطة لأنه كذلك فِي مصاحف أهل العراق، وقد نص على ذلك الداني فِي الْمُقنع، والشاطبية فِي العقيلة.

(٢): ضبط بعض الكلمات بِما يُخالف رواية حفص أيضًا.

وقد وقع ذلك فِي نيف وثلاثين موضعًا أكثرها فِي أواخر السور؛ ومن أمثلته:

قوله تعالى (وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) آخر آية فِي سورة المائدة فقد وضع على الراء من (قدير) ضمتان، وهذا الضبط مبني على وصل آخر السورة بالتي تليها مع عدم الفصل بينهما بالبسملة مع أن جميع الطرق عن حفص على الفصل بالبسملة بين السورتين، فحق الراء أن يوضع عليها ضمة تعانقها ميم مراعاة للبسملة لأن التنوين حين يلتقي بالباء يقلب ميما كما هو مقرر فِي علمي التجويد والضبط.

ومن الأمثلة أيضًا: قوله تعالى ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ﴾ آخر سورة الفيل فقد وضع على اللام من (مَأْكُولٍ) كسرتان؛ كماوضعت شدة على اللام من قوله (لإيلاف قريش) أول سورة قريش؛ وهذا بناء على وصل آخر السورة بأول ما بعدها مع قطع النظر عن البسملة أيضًا، والواجب مراعاتها كما سبق فحينئذٍ يوضع على لام (مَأْكُولٍ) كسرتان، وتترك شدة لام (لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ).

(٣): وضع بعض علامات الوقف فِي غير أماكنها اللائقة بها.

والتفريق بين النظائر بوضع علامة فِي بعضها وتعرية البعض الآخر من العلامات والواجب التسوية بين النظار.

ومن أمثلة النوع الأول: وضع هذه العلامة (قلى) على قوله تعالى بالبقرة (وَيُزَكِّيهِمْ)؛ وحقه أن يوضع عليه هذه العلامة (صلى) لأن قوله (إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) بقية قول إبراهيم وإسماعيل فِي دعائهما.

وقد وضعت هذه العلامة (صلى) على قوله تعالى: (رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا)، وقوله تعالى (وَتُبْ عَلَيْنَا) لأن التذيل فيهما من قول إبراهيم وإسماعيل فِي الدعاء.

ومن الأمثلة أيضًا: وضع هذه العلامة أيضًا (قلى) على قوله تعالى فِي سورة البقرة ﴿وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ﴾ وحقه أن توضع هذه عليه علامة (ج) التي تشير إلى حالجواز المستوى الطرفين ذلك لأن المحاورة لم تتم بعد، وعلامة (قلى) لا توضع إلا حيث يتم الكلام، وينقطع عما بعده لفظا ومعنى.

وأيضًا: وضعت هذه العلامة (قلى) على ﴿مَنْ يَشَاءُ﴾ فِي هذه الآية، وحقه أن يوضع عليه (صلى) لأن قوله ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ بقية كلام نبيهم.

ووضعت هذه العلامة (قلى) كذلك على ﴿تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ﴾ وحقه هذه العلامة (صلى) للعلة السابقة.

ومن أمثلة النوع الثاني:

قوله تعالى فِي سورة الأعراف ﴿هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً﴾ وضع على لفظ آية (صلى)، و لم توضع على قوله تعالى فِي سورة هود ﴿وَيَاقَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً﴾ وهِي مثل ما قبلها، فكان الواجب التسوية.

ومن أمثلته كذلك: قوله تعالَى فِي سورة النحل ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا﴾ وضع على آتَيْنَاهُمْ (ج) وعلى فَتَمَتَّعُوا (صلى) و لم توضع هاتان العلامتان على قوله تعالى فِي سورة الروم ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا﴾ وهِي مثل آية النحل سواء، فكان الواجب التسوية أيضًا.

وثَمَّ ملاحظات أخر أضربنا عن ذكرها صفحا اختصارا.

هذا؛ وقد كتبت دار الكتب المصرية لِمَشيخة الأزهر ترغب فِي تكوين لجنة من علماء القراءات والعربية لِمراجعة المصحف الشريف بمناسبة الشروع فِي طبعه طبعة جديدة لنفاذ الطبعات السابقة.

فأمرت المشيخة بتكوين هذه اللجنة منِّي ومن إخواني أصحاب الفضيلة الأساتذة:

الشيخ: محمد على النحار؛ الأستاذ بكلية اللغة العربية.

والشيخ: على محمد الضباع؛ شيخ المقارئ المصرية.

والشيخ: عبد الحليم بسيوني؛ الْمُرَاقِب بالأزهر.

فقمنا بمراجعته على أمهات كتب القراءات والرسم والضبط والتفسير وعلوم القرآن، وعملنا – جهد الطاقة – على تلافي هذه المآخذ، وإصلاح هذه الهنات، ونسأله تعالى أن يجعله عملا مبرورا خالصا لوجهه الكريم، إنه نعم المولى ونعم النصير.

كان الفراغ من كتابة هذه الكلمات:

يوم الجمعة المباركة غرة ربيع الأول سنة إحدى وسبعيم وثلاثمائة وألف ١٣٧١ هـ.

الموافق: ثلاثين من شهر نوفمبر سنة إحدى وخمسين وتسعمائة وألف ١٩٥١ م .

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

والحمد لله رب العالمين.

الفهرس

م	الموضوع	الصفحة
١	الكتابة العربية وقت الإسلام وبعده	١
٢	مَتَى أَخَذَتِ الكِتَابَةُ فِي الذُّيُوعِ وَالانتِشَارِ فِي سَائِرِ الأَنْحَاءِ؟	٢
٣	لِمَاذَا نَزَلَ الْقُرْآنُ مُنَجَّمًا، مُوَزَّعًا عَلَى الْحَوَادِثِ، وَلَمْ يُنَزَّلْ جُمْلَةً وَاحِدَةً	٣
٤	الذين اشتهروا بكتابة القرآن بين يدي النبي ﷺ	٤
٥	جَمْعُ الْقُرْآنِ فِي عَهْدِ أَبِي بَكْرٍ وَسَبَبُهُ، وَمَعْنَى الْجَمْعِ.	٥
٦	لِمَاذَا آثَرَ الصِّدِّيقُ زَيْدًا بِجَمْعِ الْقُرْآنِ مَعَ أَنَّ فِي الصَّحَابَةِ مَنْ هُوَ أَكْبَرُ مِنْهُ سِنًّا وَعِلْمًا؟	٥
٧	لِمَاذَا كَانَ زيد يتتبع الْمكتوب مع حفظه القرآن كله؟	٦
٨	لَمَّا شَرَعَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ فِي جَمْعِ الْقُرْآنِ اعْتَمَدَ عَلَى مَصْدَرَيْنِ.	٦
٩	جَمْعُ الْقُرْآنِ وَتَدْوِينُهُ فِي عَهْدِ عُثْمَانَ وَسَبَبُهُ.	٨
١٠	قَانُونُ عُثْمَانَ فِي كِتَابَةِ الْمُصْحَفِ.	٩
١١	كَمْ مَرَّةً جُمِعَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ ؟ (الجمع فى عهد النبى، والصديق، وعثمان)	١١
١٢	الْمَصَاحِفُ الْعُثْمَانِيَّةُ: (عددها، حالتها)	١٢
١٣	هَلْ كَانَتِ الْمَصَاحِفُ الْعُثْمَانِيَّةُ مُشْتَمِلَةً عَلَى الأَحْرُفِ السَّبْعَةِ الَّتِي نَزَلَ عَلَيْهَا الْقُرْآنُ؟	١٢
١٤	دليل أن الْمَصَاحِفَ مُشْتَمِلَةً عَلَى مَا يَحْتَمِلُهُ رَسْمُهَا، وَمُتَضَمِّنَةً لِمَا ثَبَتَ مِنَ الْقِرَاءَاتِ الْمُتَوَاتِرَةِ	١٢
١٥	كَيْفَ أُرْسِلَتْ هَذِهِ الْمَصَاحِفُ إِلَى الأَمْصَارِ ؟	١٥
١٦	مَوْقِفُ الْمُسْلِمِينَ إِزَاءَ تِلْكَ الْمَصَاحِفِ:	١٦
١٧	مَا اشْتُهِرَ مِنَ الْمَصَاحِفِ فِي عَهْدِ الصَّحَابَةِ	١٧
١٨	نَسْخُ الْمَصَاحِفِ فِي عَهْدِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ، وَمَا أُحْدِثَ بِهَا مِنْ نَقْطٍ وَشَكْلٍ وَتَجْزِئَةٍ.	٢٠
١٩	النَّقْطُ وَالشَّكْلُ ، ومخترع النقط بمعناه الأول، وسبب ذلك.	٢١
٢٠	مخترع النقط بمعناه الثاني، وسبب ذلك، ومخترع الشكل	٢٢
٢١	هل يجب التزام الرسم العثماني في كتابة المصحف، أم يجوز أن يكتب حسب قواعد الإملاء ؟	٢٤
٢٢	حَالَةُ الْمَصَاحِفِ فِي دُورِ الطِّبَاعَةِ	٢٩
٢٣	الفهرس	٣٣